



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين



العقيدة الإسلامية

مبحث الإنسان

مطبوعة موجه لطلبة السنة الثالثة

تخصص: عقيدة ومقارنة الأديان

إعداد: د. أحمد عامر باي

السنة الجامعية: 2023-2024م





مقدمة



تمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، المبعوث رحمة العالمين، وبعد:

يعتبر مبحث الإنسان في مادة العقيدة من المباحث المعاصرة التي حظيت بعناية الدارسين والمتخصصين، فبعد أن كانت قضاياها ماثورة في تفاصيل المباحث الكلية والجزئية الأخرى، ونظرا للعناية بالإنسان في الفلسفات والفكر الإنساني عموما، وتناول التساؤلات المتعلقة به بالدراسة في تأليف منفردة، سعى الدارسون في تخصص العقيدة في إطار الجهد المطلوب في خدمتها عرضا وبيانا ودفاعا إلى تقديم التصور الإسلامي لمبحث الإنسان المرتكز أساسا على العقيدة وجودا واستمدادا وتوجها.

ويجمل أغلب الدارسين مباحث الإنسان في أقسام كبرى تتعلق؛ بمبدأ الإنسان وهو مبحث يتعرض للإنسان ماهية ووجودا منذ البدايات ، ثم مبحث طبيعة الإنسان وما تتضمنه من البناء المادي والمعنوي له، ثم قيمة هذا الإنسان من جهة ذاته ثم في إطار التراتب الوجودي عموما، ومن التعرض للواجب الاستخلافي للإنسان والذي يعتبر الدور المركزي لوجود الإنسان، ثم مصير الإنسان .

أن دراسة مباحث الإنسان ولاسيما من زاوية الرؤية الكونية الإسلامية، يعتبر غاية في الأهمية من جهة أبعاده النظرية والتطبيقية في الحياة.

وهو ما دعا فرق التكوين على مستوى وطني إلى ترسيم مادة العقيدة (مبحث الإنسان) كمادة أساسية مقررة على طلبة السنة الثالثة في تخصص العقيدة ومقارنة الأديان.

والمطبوعة البيداغوجية هاته تحاول أن تقدم مادة شاملة ومختصرة كمدخل مقرر على الطلبة، حيث اتبعت فيها مفردات البرنامج بدقة، وابتعدت فيها عن الاختصار والتطويل، حتى يتحقق المقصد من إحاطة الطالب بمباحث هذا العلم.

د. باي أحمد عامر

الوادي في: 20-02-2024م

البرنامج المقرر:

السكاسي: السكاسي

عنوان الوحدة : وحدة التعليم الأساسية

المادة: العقيدة الإسلامية 2 (مبحث الإنسان)

الرصيد: 04

المعامل: 02

أهداف التعليم:

أن يتعرف الطالب على حقيقة الإنسان من خلال القرآن الكريم تكامل جوانبه الروحية والمادية في الإسلام، متعرضاً لنقد نظرية داروين نقداً علمياً من خلال ما توصلت إليه آخر الأبحاث العلمية في المجال.

المعارف المسبقة المصوبة :

معرفة أولية بنظريات خلق الإنسان

محتوى الملائمة :

أولاً: المبدأ الوجودي للإنسان

ثانياً: الإنسان بين الماهية والوجود

ثالثاً: خلق الإنسان في القرآن الكريم.

رابعاً: عناصر ماهية الإنسان في القرآن الكريم

والمذاهب الفلسفة: المادية والروحية.

خامساً: النقد العلمي لنظرية داروين.

سادساً: قيمة الإنسان في العقيدة الإسلامية

سابعاً: خلافة الإنسان في القرآن الكريم

صريفة التقييم: متواصل + امتحان

المصادر والمراجع:

- مبدأ الإنسان: عبد المجيد النجار
- قيمة الإنسان: عبد المجيد النجار
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: عبد المجيد النجار
- الذريعة إلى مكارم الشريعة: الراغب الأصفهاني
- الإنسان في القرآن: عباس محمود العقاد
- قضايا الإنسان في القرآن: عائشة بنت الشاطئ
- آدم: رابح تركي
- أبي آدم: عبد الصبور شاهين
- الإنسان ذلك المجهول: ألكسيس كاريل

قائمة إضافية مقترحة منصفة لبحوث التصبية:

- 1) مفاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان - فاروق الدسوقي
- 2) آدم عليه السلام- البهي الخولي
- 3) الإنسان ذلك المعلوم - عادل العوا
- 4) الإنسان الكامل من كلام ابن عربي، محمود غراب
- 5) الإنسان الكامل-مرتضى المطهري
- 6) مفاتيح النور- فريد الأنصاري،
- 7) وماذا تعرف عن بديع الزمان سعيد النورسي-علي القاضي
- 8) روائع إقبال - أبو الحسن الندوي



أولاً: المبدأ الوجودي للإنسان



1- مفهوم الإنسان

وفيه نتناول مفهوم الإنسان وحقيقته في اللغة والاصطلاح ، ثم نستفيد جانبا من خصائص الانسان في القرآن الكريم، ونختمه بمفهوم الانسان وطبيعته عند بعض المتكلمين باعتبار الرؤية العقلية والنقلية، وعند المتصوفة في اطار الرؤية العرفانية.

أ- الإنسان في اللغة .

الإنسان في اللغة مَعْرُوفٌ، و له دلالات كثيرة، وهو لفظ يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بصيغة واحدة¹ ، والواحدِ إِنْسِيٌّ وَأُنَاسٌ، وجموعه على أوزان متعددة فيقال: النَّاسُ، وَأُنَاسِي، وَأُنَاسِيٌّ، وَأَنَاسًا، وَأَيَاسِينَ، وَالْإِنْسِ.

وقد ورد ذكر الانسان في القرآن الكريم كثيرا بصيغ الجمع؛ كقول الله ﷻ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾²، وَأُنَاسِي ؛ كقوله تعالى: ﴿لَنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُنْشِئُهَا مِنْ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا﴾³، ويقال أيضا في جمع أناسي⁴.

ومن أبرز معاني كلمة الإنسان واشتقاقاتها اللغوية، ما ذكرته المعاجم اللغوية مما نوجزه في الآتي:

1- علي بن إسماعيل أبو الحسن بن سيده المرسي؛ المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال (ط:1؛ دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1996م)، ج1، ص43.

2- سورة يونس : الآية 2.

3- سورة الفرقان : الآية 49.

4- ابن منظور، لسان العرب (ط:3) ، دار صادر - بيروت ، 1414هـ.، ج6، ص10-17.

*الاستعلام واليقين: فيقال الإنسان من آنس الشيء: أَحْسَنَهُ وَعَلِمَهُ¹. وَأَنْسَتْ الصوت: سمعته. وَاسْتَأْنَسْتُ بمعنى استعلمتُ، قال تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾²؛ أي تعلم منه كمال العقل وسداد الفعل وحسن التصرف³.

*النسيان: قيل فيه: كان الإنسان في الأصل إنسياناً، فهو إْفِعْلَانٌ من النَّسِيَانِ، وقد حذفت الياء فقليل إنسان⁴. روي عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه قال: "إنما سمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فنسي"⁵. وقيل: النسيان لا يكون إلا بعد العلم؛ فسمي الإنسان إنساناً لأنه ينسى ما علمه، وسميت البهيمة بهيمة لأنها أبهمت على العلم والفهم ولا تعلم ولا تفهم، فهي خلاف الإنسان⁶، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾⁷.

1- المرجع نفسه.

2- سورة النساء: الآية 06.

3- ابن منظور، لسان العرب، (مرجع سابق)، ج 6، ص 15.

4- ابن منظور، لسان العرب، (مرجع سابق)، ج 6، ص 11.

5- الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (دط؛ دار ومكتبة الهلال: القاهرة-مصر، دت)، ج 7، ص 304.

6- أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي (ط:1؛ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين: قم - إيران، 1412هـ) 79.

7- سورة طه: الآية 115.

*الظهور والإبصار: ومن الإنسان الأَنَسُ والإيناسُ: خلاف الوحشة¹ ، والأَنَسُ والإِسْتِنَاسُ والتَّأَنَسُ، هو الظهور ، وقيل الطمأنينة² ، قال تعالى: ﴿بَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا﴾³ ، وذهب الزمخشري: أن من أَنَسَ الشيء، أبصره ظاهرا مكشوفاً⁴.

وسمي الإنسيُّون إنسيين لأنهم يُؤنسون أي يرون، وسمي الجن جنا لأنهم مُجتنون عن رؤية الناس أي متوارون⁵. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾⁶؛ أي أن موسى ﷺ أبصر ورأى نارا⁷.

*الحد والجانب والمقابل من الشيء: إنسانُ السيف والسهم: حدُّهما. وإنسيُّ القدم: ما أقبل عليها ووحشيتها ما أدبر منها⁸، وإنسيُّ القوس: ما أقبل عليك منها⁹، وقيل: إنسيُّ القوسِ ما ولي الرامي، ووحشيتها ما ولي الصيد¹.

1- المرجع نفسه ، ص16.

2- المرجع نفسه، ج 6 ، ص14.

3- سورة النور: الآية 27.

4- الزمخشري، الكشاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (دط؛ دار إحياء التراث العربي: بيروت ، دت)، ج3، ص225-226. (بتصرف)

5- أبو الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دط ؛ دار الهداية : طبعة الكويت ، دت)، ج15، ص408.

6- سورة القصص: الآية 29.

7- المرجع نفسه، ج15، ص415.

8- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دط ؛ دار الهداية : طبعة الكويت ، دت)، ج15، ص411.

9- الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (ط:4 ؛ دار العلم للملايين: بيروت-لبنان ، 1987م) ج3 ، ص905.

*ومن المعاني اللغوية للإنسان أيضا : أن الإنسان: هو صخرة في رأس الجبل وقيل رأسُ الجبل²، والإنسان أيضا: إنسان العَيْنِ، وهو المثل الذي يرى في السواد³، وهو أيضا ظلُّ الإنسان ، والأرض التي لم تُزرَع⁴.

وبالنظر إلى ما ذكر من المعاني اللغوية للإنسان نجد أنها تشير إلى خصائصه وسلوكه وطبيعته، فهو أنيس مؤنس لغيره، من الأُنس، فهو إنسان لكثرة نسيانه، وهو ظاهر للعيان بخلاف ما جن من المخلوقات كالجن في خفائها.

2- الإنسان في الاصطلاح

كان ومازال الإنسان محل بحث ودراسة وتساؤل عن حقيقته، وعن كل ما يتعلق به، فهو محل سر الله في خلقه، ولغز الإنسانية الذي لم يحل⁵، ما يجعل تحديد مفهوم دقيق له يشهد نوعاً من الصعوبة نظرا للمؤثرات المختلفة المحيطة بالإنسان، وعليه وجدنا كل متخصص يقدم تعريفا للإنسان يتعلق بالخلفية المعرفية له، فركز بعضهم على الجانب المادي في بنيته، وآثر آخرون الجانب العقلي أو الروحي أو الأخلاقي، فشكل ذلك الجهد التراكمي رصيذا معرفيا، أثمر نسبيا في تعميق فهم الإنسان

1- ابن منظور، لسان العرب، (مرجع سابق) ، ج6 ، ص14.

2- الفراهيدي، العين، ، تحقيق : د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي (دط ؛ دار ومكتبة الهلال: القاهرة-مصر ، دت)، ج7 ، ص304.

3- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، (مرجع سابق)، ج15 ، ص412.

4- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، (مرجع سابق)، ج15 ، ص412.

5- إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق (ط:3؛ دار المعارف: القاهرة - مصر، 1976م) ، ج1، ص123.

للإنسان، ولا تزال جهود الباحثين موصولة وستبقى، لما يشكله الإنسان من أهمية ومكانة في الحياة والوجود¹.

وقد كانت جهود الباحثين في ضبط تعريف للإنسان متنوعة ومثار تمحيص ونقد وتسديد ومقاربة، ولا يسعنا تناولها جميعا بشيء من التفصيل والتوسع في هذه المطبوعة، ونكتفي بالإشارة إلى بعضها مما حاولت وضع محددات جامعة مانعة لمفهوم الإنسان:

■ تعريف المناطقة:

يعرف بعض المناطقة الإنسان: بأنه "الحيوان الناطق"²، وهناك من أضاف العاقل فقال: "الإنسان حيوان ناطق عاقل"³، والقول بالنطق في الحقيقة لازم ومتعلق بقدرة الإنسان العقلية على التفكير والتعبير والتواصل بكل صورة⁴.

■ التعريف الشكلي:

وهناك من حاول تعريفه متماشيا مع المعيار الشكلي بالقول أن: "الإنسان عبارة عن هذه البنية المخصوصة المحسوسة وعن هذا الهيكل الجسم المحسوس"¹.

1- عادل العوا، الإنسان ذلك المعلوم (ط:2؛ منشورات عويدات: بيروت- لبنان، 1982م)، ص 07-08؛ وينظر: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، حقيقة الإنسان بين المسئولية والتكريم (دط؛ المؤسسة العربية الحديثة: القاهرة-مصر، 1988م)، ص 11-13.

2- الجرجاني، التعريفات، (مرجع سابق)، ص 38.

3- أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي (ط:1؛ الجفان والجابي - قبرص، 1987م)، ص 35.

4- عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية (ط:3؛ الدار العربية للكتاب: القاهرة- مصر، 1982م)، ص 94.

■ التعريف الموضوعي:

وهناك من ركز على مضمون وجوهر الإنسان وفق المعيار الموضوعي إجمالاً، فقال: "أعلم أن الإنسان هو المعنى القائم بهذا البدن، لا مدخل للبدن بمسماه، وليس المشار إليه بـ (أنا) الهيكل المحسوس، بل الإنسانية التي هي صورتها النوعية الحالة في مادتها المحصلة لنوع البدن الإنساني، التي هي كالألة للنفس الناطقة في التصرف في البدن في أجزائه"².

وجمع آخر بين مضمون المعيارين، بقوله: "الإنسان مركب من جسم مدرك بالبصر، ونفس مدركة بالبصيرة"³.

وكلها محاولات لا تفي بالغرض من حيث كونها تستحضر جانباً مع تغييب جانب آخر، كما لا تتصف بالمنع من دخول غيرها في التعريف.

■ التعريف الوظيفي:

ركز بعض المفكرين المسلمين في تعريف الإنسان انطلاقاً من الدور الوظيفي للوجود الإنساني، من خلال الرؤية الإسلامية المستنبطة من الآيات القرآنية، قال مالك بن نبي: "الإنسان حيوان ديني، بشكل فطري غريزي بسبب استعداد أصيل في طبيعته"¹.

1- محمد بن علي الفاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج (ط:1؛ مكتبة لبنان ناشرون: بيروت-لبنان، 1996م)، ج1، ص278.

2- الكفوي، الكليات، (مرجع سابق)، ص198.

3- الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة (ط:2؛ دار السلام: القاهرة-مصر، 2010م)، ص72.

لكن هذا التعريف جامع غير مانع، لأن القرآن الكريم يخبرنا أنه ما من شيء في الوجود إلا ويعبد الله على طريقته²، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾³، وقال ﷺ أيضاً: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾⁴.

ويعرف عباس محمود العقاد الإنسان بأنه: "الكائن المكلف"، وقيل: "الحيوان المكلف"⁵، ويبيّن العقاد أن أفضل محدد للإنسان وصفه بالكائن المكلف؛ فهو شيء محدود بين الخلائق بكل حد من حدود العقيدة أو العلم أو الحكمة، وأنتقد التعريفات التي تحدده بالنطق، أو بكونه الملك الهابط أو الحيوان الصاعد، ورأى أن الأساس في تعريف يقوم على أمانة التكليف التي يحملها⁶.

ومن الباحثين من رأى أن أهم ما يجب أن يعرف به الإنسان، أنه: "خليفة الله في الأرض"⁷، إذ لا ميزة يتفرد بها عن غيره دونها.

1- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية(ط:4؛ دار الفكر: دمشق-سورية، دار الفكر المعاصر: بيروت- لبنان، 2000م)، ص70.

2- عبد الوهاب فرحات، نظرية الإنسان عند محي الدين بن عربي (رسالة دكتوراه)، غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر: كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، 2003-2004م، ص210.

3- سورة الإسراء: الآية 44.

4- سورة الرعد: الآية 15.

5- عبد الكريم عثمان، نظرية التكليف (دط؛ مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، دت)، ص27.

6- عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن (ط:2؛ دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، 1969م)، ص23.

7- سيد أحمد فرج، مقال في الإنسان والتوحيد،(مرجع سابق)، ص22.

فماهية الإنسان هي خصائصه التي كان بها إنسانا ولم يكن شيئا آخر، والتي تجمعها كلمة "الإنسانية"¹، ولا يتحقق معنى الإنسانية في الإنسان بمجرد كونه بشرا يأكل الطعام ويحقق مختلف رغائبه المادية والمعنوية، بل الإنسانية فيه هو النجاح في الارتقاء بنفسه إلى الدرجة التي تؤهله لأداء واجبه التكليفي، والنجاح في القيام بدور الخلافة في الأرض على أكمل وجه ميسور².

فيكون التعريف الجامع الذي نختاره انطلاقا من الدور التكويني والوجودي للإنسان: أنه المخلوق المكلف بمسؤولية الخلافة في الأرض.

1- عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان (ط:1؛ دار الزيتونة للنشر: الرباط-المغرب، 1996م)، ص25.
2- عائشة بن عبد الرحمن بنت الشاطي، مقال في الإنسان دراسة قرآنية (ط:2؛ دار المعارف: القاهرة-مصر، 1969م)، ص15.

2- الإنسان في الاتجاهين الكلامي والصوفي¹:

أ- الإنسان عند المتكلمين:

اختلف المتكلمون في حقيقة الإنسان وطبيعته إلى مذاهب وآراء ، نوجزها فيما يلي:

الرأي الأول: القائل بأن الإنسان جسم محسوس، وبنية ظاهرة مخصوصة وهو شيء واحد لا روح له²، ودليلهم آيات كثيرة من القرآن يفهم منها تخصيص الإنسان كونه جسماً، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾³، فتبين أن الإنسان هو المتردد بين تلك الأطوار، وتمازج أوصافه بالجملة الظاهرة المشاهدة⁴.

وفي قوله عز وجل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾⁵، وبقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾¹، والمتفحص

1 - هذه الجزئية الدقيقة مما تناولته في أطروحة الدكتوراه، العدل الإلهي وآثاره في حياة الإنسان، ص 59-66؛ وقد نقلتها كاملة كما هي -مع إثراء يسير- لتركيز مدلولها وعبارتها، ورغبة في إفادة الطلبة منها بكل مضامينها.
2- الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ج 21، ص 394؛ وينظر: و علي بن إسماعيل بن أبي بشر أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور (ط: 1؛ المكتبة العصرية: القاهرة- مصر، 2005م)، ج 2، ص 252.

3- سورة المؤمنون: الآية 12-14.

4- سميح دغيم، موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار (ط: 1؛ مكتبة لبنان ناشرون: بيروت لبنان، 2002م)، ق 2، ص 120.

5- سورة الطارق: الآية 5-7.

في هذه الأدلة يرى بلا شك-حسبهم- أن هذه الآيات تتكلم عن صفات الجسد، لأن الروح إنما تنفخ بعد تمام خلق الإنسان².

وقد رد مخالفوهم من المتكلمين على هذا الرأي بما يفنده شرعا وعقلا، وبما يفيد أن الإنسان ليس هو هذا الكيان المحسوس فقط³.

الرأي الثاني : وهو أن يقال بأن الإنسان عرض حال في البدن، أي أنه "هو الأعراض التي بمجموعها يصير بهذه الصفة المخصوصة دون غيرها"⁴، فالإنسانية عندهم هي عبارة عن أجسام متولدة عن امتزاجات أجزاء العناصر بمقدار مخصوص، وهي موصوفة بصفة الحياة والعلم والقدرة والحياة ، والتي بمجموعها تشكل الأعراض القائمة بالجسم⁵.

وقد رُدّ عليهم بأن القول بأن الإنسان عبارة عن امتزاج العناصر، فيه إنكار صريح لوجود الروح والنفس، وهي حقيقة ثابتة بالنص، كما أن من المعلوم بالضرورة كون

1- سورة الرحمن : الآية 14.

2- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (دط ؛ مكتبة الخانجي: القاهرة- مصر ، دت)، ج5، ص41-42.

3- لمعرفة مزيد من التفصيل يرجع إليه في مواطنه، مما جمعه الرازي في تفسيره من الأدلة العقلية والنقلية الكثيرة؛ انظر: الرازي، الأربعين، (مرجع سابق)، ج2، ص18؛ وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ج21، ص402.

4- القاضي عبد الجبار، المغني، (مرجع سابق)، ج11، ص364.

5- الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ج21، ص398؛ وينظر: القاضي عبد الجبار، المغني، (مرجع سابق)، ج11، ص310-311.

الإنسان جوهر موصوف بالعلم والقدرة والإرادة، فهو جوهر موصوف بأعراض مخصوصة¹.

الرأي الثالث: القائل بأن الإنسان موجود ليس بجسم ولا جسماني، فهو روح مدآخل للجسد، والبدن الظاهر آلة له، وقيل هو جوهر مخصوص، وقيل قائم بنفسه خارج عن كونه جوهرًا أو عرضاً، والإنسان عندهم غير موجود لا داخل العالم ولا خارجه، ومتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف دون أن يكون داخلاً فيه بالجزئية أو الحلول².

والقول بهذا الرأي مفض إلى اعتبار أن الإنسان لا يرى على الحقيقة، والمرئي هو الجسد الذي فيه الإنسان، فلا أحدا منا إذن رأى أباه وأمه وإنما يرى قاليهما³، وأن كل ما يحيط بنا من الحيوانات لا جسم له، وأن التكليف والجزاء للروح، وتنفيذ الحدود الشرعية في حقيقته تنفيذ على البدن لا على صاحبه مما يخالف النصوص والمعقول⁴.

والحقيقة التي تبينها النصوص أن الجمع بين الآراء السابقة هو الصحيح، كما ذهب إلى ذلك ابن حزم⁵، فالإنسان يطلق على الروح والجسد، وعلى أحدهما، فقد

1- الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ج21، ص398.

2- المرجع نفسه، ج21، ص399. (بتصرف)؛ وينظر: الشيخ المفيد، أوائل المقالات، (مرجع سابق)، ص77.

3- الأشعري، مقالات الإسلاميين، (مرجع سابق)، ج2، ص253.

4- أبو منصور البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ط:2؛ دار الآفاق الجديدة: بيروت - لبنان، 1977)، ص117-118.

5- ابن حزم (384-456هـ=994-1064م): هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيها حافظاً، له مؤلفات منها:

ثبت أن للإنسان اسم يقع على النفس دون الجسد، بدليل أنه يعذب وينعم في البرزخ دون جسد، ويقع لفظ الإنسان على الجسد دون الروح، لقولنا للميت هذا إنسان، ويقع على الجسد والروح مجتمعين لقولنا للإنسان الحي هذا إنسان¹.

فيكون ابن حزم قد خرج من الخلاف بنظرة شاملة لمفهوم الإنسان من خلال التعامل مع كل النصوص الثابتة دون انتصار لنظرة جزئية.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، والمحلّى؛ ينظر: خير الدين الزركلي الدمشقي، الأعلام، (مرجع سابق)، ج4، ص254.

1- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (مرجع سابق)، ج5، ص41-42.

3- الإنسان في الاتجاه الصوفي:

يحتل الإنسان في الاتجاه الصوفي مكانة محورية ومركزية، فهو القطب الثاني في الوجود، لذلك كان شغلهم الشاغل بعد اهتمامهم بالحق تعالى، سواء في الوقوف مليا بالتأمل في حقيقة النفس، أو في تحديد طريقة السلوك الموصلة للكمال الميسور، وفي ما يلي بيان مختصر لمسلكهم في الإنسان.

بيّن ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية، أن الناس قد اختلفوا في مسمى الإنسان؛ فقالت طائفة هو لطيفة، وقالت أخرى هو جسم، وطائفة قالت هو المجموع وهو الأولى¹. أما النفس عندهم فهي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحب والحركة الإرادية².

ويرى أهل التصوف أنه بهذا الإنسان تمت مراتب الوجود، وكَمُلَ العالم، ومن أجله وبسببه وجد، وظهر الحق تعالى لظهوره الأكمل على حسب أسمائه وصفاته، فالإنسان أنزل الموجودات مرتبة في الوجود-زمنيا- وأعلاهم مرتبة في الكمالات، فهو الغاية، وما خُلِقَ المتقدم عليها إلا لأجلها وظهور عينها³، وهو الجامع للحقائق الحقية، والحقائق الخلقية جملة وتفصيلا⁴، أي جامع تجلي الأسماء الإلهية، والحقائق الكونية.

1- محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، (مرجع سابق)، ج2، ص31-32.

2- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، (مرجع سابق)، ص115.

3- محمود محمود الغراب، الإنسان الكامل من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي (ط:2)؛ دار الفكر: دمشق-سوريا، 1990م)، ص11-12.

4- عبد الكريم الجيلي، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود (ط:1)؛ مكتبة القاهرة: القاهرة-مصر، 1999م)، ص53-54.

فقد كانت الحقائق التي جمعها الله تعالى في الإنسان متبددة في العالم، فنادها الحق من جميع العالم، فكان جمعيتها الإنسان، فوجوه العالم مصروفة إلى الخزانة الإنسانية، وقد نادها لترى ما ظهر من نداء الحق، فرأت صورة منتصبة مستقيمة في أحسن التقويم، ما رأى أحد في العالم مثلها¹.

فالعالم هو الإنسان الكبير، والإنسان الكامل في العالم كالروح لجسم الحيوان، وهو الإنسان الصغير، فالعالم مختصر الحق، والإنسان الكامل مختصر العالم والحق، فهو نقاوة المختصر².

ويتميز الإنسان عن العالم في كون جميع العالم برز من العدم إلى الوجود إلا الإنسان وحده، فإنه برز من وجود إلى وجود، من وجود فرق إلى وجود جمع، فبين العالم والإنسان كما بين العدم والوجود، ولهذا ليس كمثل الإنسان في العالم شيء، فأى شرف هذا الذي حضي به الإنسان؟!³

فالله العظيم - تعالت أسماؤه وصفاته - خلق الإنسان مختصراً شريفاً⁴، جمع فيه معاني وحقائق العالم الكبير، وجعله نسخة جامعة لما في العالم، ولما في الحضرة الإلهية

1- محمود محمود الغراب، الإنسان الكامل من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، (مرجع سابق)، ص7.

2- المرجع نفسه، ص10-11؛ وينظر: الجرجاني، التعريفات، (مرجع سابق)، ص38.

3- محمود محمود الغراب، الإنسان الكامل من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، (مرجع سابق)، ص8.

4- محي الدين ابن عربي، رسائل ابن عربي - عقلة المستوفز، تحقيق: سعيد عبد الفتاح (ط:1)؛ دار الانتشار العربي: بيروت - لبنان، 2002م، ج2، ص74-75.

من الأسماء¹، وهذا معنى قول رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»²، فالإنسان الكامل هو مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا تُرى أسماؤه وصفاته إلا فيه، فهو من يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق أصالة وملك بحكم المقتضى الذاتي. وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾³، أي ظلم نفسه بإنزالها من تلك الدرجة العلية، جهولا بمقداره كونه محل الأمانة الإلهية وهو لا يدري⁴.

ولابد للخليفة وفق نظر الصوفية؛ أن يظهر بكل صورة يظهر بها من استخلفه، فلا بد من إحاطته بجميع أسمائه وصفاته الإلهية، التي يتطلبها العالم المستخلف فيه، فهو الإمام والخليفة⁵، والإنسان هنا أمام مسؤولية يتحدد بها تصنيفه، هل هو الإنسان الكامل أم الإنسان الحيوان؟

فالإنسان الكامل هو من تميز بتصريفه الأسماء الإلهية، وقد خلق على الصورة الكاملة، و بها صحت له الخلافة والنيابة عن الله في العالم، وما كل إنسان خليفة؟،

1- المرجع نفسه. (بتصرف)

2- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (دط؛ دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، دت)، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، رقم: 2612، ج4، ص2017.

3- سورة الأحزاب: الآية 72.

4- عبد الكريم بن إبراهيم الجليلي، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر (ط:1؛ دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1997م)، ص212-213. (بتصرف).

5- محمود محمود الغراب، الإنسان الكامل من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، (مرجع سابق)، ص22.

فإذا لم يحز الإنسان رتبة الكمال فهو حيوان ، تشبه صورته الظاهرة صورة الإنسان، وليس المخصوص بها أيضا الذكورية ، فصورة الكامل في الجنسين، فالإنسانية تجمع الذكر والأنثى، وما الذكورة والأنوثة إلا عرض لمشاركة الحيوان فيهما¹، وأين الإنسان الحيوان من الإنسان المخلوق على صورة الرحمن؟ فهو النسخة الكاملة والمدينة الفاضلة².

وتقرر عند الصوفية أن في كل إنسان نسختان: نسخة ظاهرة مضاهية للعالم بأسره، ونسخة باطنة مضاهية للحضرة الإلهية، فالإنسان هو الكلي على الإطلاق والحقيقة، فهو القابل لجميع الموجودات قديمها وحديثها، وما سواه من الموجودات لا تقبل ذلك، فالإنسان ذو نسبتين نسبة يدخل بها للحضرة الإلهية، ونسبة يدخل بها إلى الحضرة الكيانية، فكأنه برزخ بين العالم والحق³.

فالإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه، فالحقائق العلوية يقابلها بلطفه، والحقائق السفلية يقابلها بكثافته⁴، وهو الخط الفاصل بين الحضرة الإلهية والكونية، والجامع للخلق والحق، وهو صاحب الكمال المطلق في القدم والحدوث، والحق له الكمال المطلق في القدم ومتعال عن الحدوث، والعالم له الكمال المطلق في الحدوث غير متصف بالقدم، فصار الإنسان جامعا، فما أشرفها من حقيقة وما أظهر

1- محي الدين ابن عربي، رسائل ابن عربي- عقلة المستوفز، (مرجع سابق)، ج2، ص74-75. (بتصرف)
 2- محمود محمود الغراب، الإنسان الكامل من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، (مرجع سابق)، ص9.
 3- محي الدين ابن عربي، إنشاء الدوائر (ط:1؛ مطبعة بريل: مدينة ليدن- هولندا، 1917م)، ص21.
 4- عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل، (مرجع سابق)، ص211-212.

من وجود، وما أحسها وما أدنسها في الوجود، فيتحقق منه أحسن التقويم مسار الطائعين المقربين، وتحقق منه أسفل السافلين مسار الكافرين الجاحدين¹.

والسؤال الذي يُطرح؛ هل هذا الشرف الكبير للإنسان ذاتي له؟ أو هو بمرتبة نالها بعد ظهوره في عينه وتسويته كاملا في إنسانيته، سواء أكانت بالعلم أو بالخلافة والإمامة؟

والأمر محل خلاف؛ فمن قال بذاتية الشرف ردها لخلق الله تعالى له بيده، ومن قال بأن تشريفه عارض دلت عليها بأننا لو سلمنا بالأمر لما تميز الشريف بعلم أو خلق أو غيرها؛ عن الأناسي، ويجمعهما التشريف الذاتي. فتأكد أن التشريف عارض، وأن الشرف للمنزلة الشريفة والمكانة المحمودة، والإنسان ينال الحكم بالتبعية تماما كما في الرسالة والنبوة والخلافة والسلطنة².

فلا يجب أن يلتبس الأمر على الإنسان كونه خلق على الصورة، فهو بذلك حصل الكمال المطلوب، وما الأمر كذلك، لكن بما هو إنسان هو قابل للصورة، فإذا أعطيتها قبلها وحينها يكون من الخلفاء، ولا يتصرف من هو على الصورة إلا تصرف الحق بها³.

1- محي الدين ابن عربي، انشاء الدوائر، (مرجع سابق)، ص24. (بتصرف)

2- محي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، (مرجع سابق)، ج2، ص31-32.

3- محمود محمود الغراب، الإنسان الكامل من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي، (مرجع سابق)، ص11.

أما إن اتبع طريق الظلمات والعصيان، فمصيره الطرد من القرب الإلهي الروحي إلى البعد الجسماني، كما حصل لنا بإنزالنا من الجنة، فينصرف وجه النفس عن العالم العلوي المنزه عن القيد والحصر، إلى العالم السفلي الطبيعي الذي هو تحت الأسر¹.

لذا وجب على الإنسان عند الصوفية معرفة النفس ابتداءً؛ فمعرفة الرب موقوفة على معرفة النفس، ومن عرف نفسه عرف ربه². وبعد المعرفة تأتي التربية والمجاهدة في الوصول إلى الكمالات، بترك شهوات النفس والبدن، بل ونكران النفس؛ في مقابلة عظمة الخالق³، وطلب الحق تعالى بالرجوع عما دونه⁴.

ويقسم الصوفية النفس في سلوكها إلى ثلاثة أصناف أساسية يتحقق بها وجودها ومدى ترقّيها؛

أولها: النفس الأمارّة التي تميل إلى الطبيعة البدنية - وهناك من يسميها النفس الحيوانية في شق تدبير شؤون البدن - وما تعلق بها من اللذات والشهوات الحسية، وأنجذاب القلب إلى الجهة السفلية.

وثانيها: النفس اللوامّة التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبّهت به عن سنة الغفلة، فتقيظت وبدأت بإصلاح حالها مترددة بين جهتي الربوبية والخلقية، وكلما صدرت منها

1- عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل، (مرجع سابق)، ص195.

2- أحمد النقشبندي الخالدي، جامع أصول الطرق الصوفية، تحقيق: أدب نصر الله (ط:1؛ دار الانتشار: بيروت-لبنان، 1997م)، ص209.

3- أبو يزيد البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، تحقيق: قاسم محمد عباس (ط:1؛ دار المدى للثقافة والنشر: بغداد-العراق، 2004م)، ص61.

4- المرجع نفسه، ص67.

سيئة ظلامية بمقتضى طبيعتها، تداركها نور التنبيه الإلهي، فأخذت تلوم نفسها وتتوب مستغفرة راجعة،

والثالثة: النفس المطمئنة التي تم نورها بنور القلب، حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتوجهت لجهة القلب بالكلية، سائرة في طريق الترقى ومساكنة حضرة رفيع الدرجات في عالم القدس¹.

ومما دُكرَ يتبين لنا أن مفهوم الإنسان عند الصوفية يتجسد في معرفة المكانة العظيمة التي يتبوؤوها، والتشريف الإلهي الفريد، بأن جعله مرآة الحق، الجامع للحقائق والصفات، البرزخ بين الخالق والكون، فهو الأخير في وجوده، الأول في مكانته بين الخلائق، فأى مكانة عظيمة هذه ؟ وأي اختبار يجب أن يتجسد في الإنسان سلوكا بأن يكون على قدر مسؤولية خلقه على الصورة؟ وأن يؤدي واجب الاستخلاف على أكمل وجه ليكون بذلك الإنسان الكامل.

1- عبد الرزاق الكاشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، (مرجع سابق)، ص115-116؛ وينظر: عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل، (مرجع سابق)، ص206-207. (بتصرف)



الإنسان بين الماهية والوجود



2- الإنسان بين الماهية والوجود

أ- مقدمة في الوجود والماهية:

***الوجود:** يعرف الوجود بأنه ما يقابل العدم، ولشدة ظهوره كمفهوم بديهي ذهب البعض أنه لا يحتاج إلى تعريف لضبطه. ومن خالفهم عرفه بتعريف الموجود فقالوا: الموجود هو ثابت العين مقابل المعدوم وهو المنفي العين، وليس هذا إلا تقريبا لمفهوم الوجود بذكر خصائصه المميزة له عن العدم¹.

وينقسم الوجود مبدئيا إلى مستويين كبيرين:

الوجود الذهني: وهي الصورة الذهنية للشيء بغض النظر عن وجوده الخارجي.

الوجود الخارجي: وهو التحقق الخارجي للموجود وفق تلك الصورة الذهنية.

وقد اختلف العلماء في اعتبار المعبر منهنما؛ فذهب أصحاب النزعة الواقعية في الفلسفة إلى اعتبار الوجود مقصورا على التحقق الخارجي، وسار مسارهم في ذلك المتكلمون من المسلمين؛ واعتبر أصحاب النزعة المثالية في الفلسفة أن الوجود شامل لكلا المستويين.

والحقيقة أن الوجود ثابت فيهما وإن كانا مختلفين في طبيعة الوجود، مما يقرب المعنى ويجعلهما أقرب إلى الاتفاق من كون وجودهما واختلافهما².

1 - عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان (ط:1؛ دار الزيتونة: الرباط- المغرب، 1996م)، ص23.

2 - المرجع نفسه، ص23-24.

***الماهية:** "هي العناصر الحقيقية التي تجعل من شيء ما شيئاً مميزاً عن كل ما سواه"، فماهية الإنسان: "هي خصائصه التي كان بها إنساناً ولم يكن بها شيئاً آخر"¹.
وسؤال الماهية نسبة إلى "ما هو"؛ والإجابة عنه هي حقيقة الشيء التي كان بها هو هو ولم يكن شيئاً آخر.

ومن الجدير التنبيه إلى التمايز بين الماهية والحقيقة والهوية؛ **فالماهية:** هي الجانب المتعقل من الموجودات دون اعتبار تشخيصها في الواقع الخارجي يختلف صور الأعراض كاللون والشكل والحجم... وهي تختلف عن **الحقيقية؛** التي يعتبر فيها وجود الماهية مع الوجود الخارجي، أما **الهوية** فيعتبر فيها الوجود الخارجي فقط وما يتعلق بتشخيصه في صور متعددة².

ب- العلاقة بين الوجود والماهية في الممكنات:

لقد أثبتت مسألة العلاقة بين الوجود والماهية في الموجودات الممكنة، حيث أن الممكنات سابقة بالعدم، ويمكن أن يطرأ على وجودها الفناء والتغير والعدم، مما يسمح بتصوير وجود الثنائية في حقها، أي وجود ماهية ثابتة محددة، ثم يتبعها وجود حقيقي خارجي، وبخلاف وجود واجب الوجود وهو الله تعالى، فوجوده أبدي أزلي.

وقد ذهب المعتزلة إلى قطعية وجود الثنائية بين الوجود والماهية في الممكنات، من خلال مقولتهم بـ "شيئية المعدوم"، أي أن الأشياء قبل طرؤ الوجود عليها يتحقق فيها نوع من الثبوت في الماهية، وليس وجودها إلى تحقق الوجود التالي في الزمن لوجود

1 - المرجع نفسه، ص25.

2 - عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان (ط:1؛ دار الزيتونة: الرباط- المغرب، 1996م)، ص25-26.

الماهية.

وقد خالفهم الأشعري وابن رشد في ذلك، ورأوا القول بالتلازم بين الوجود والماهية في الممكنات تجنبا من الوقوع بالقول بقدم المادة أو العالم، وذهب ابن رشد أن هذه الثنائية لا تعدوا أن تكون ثنائية ذهنية فحسب¹.

ولكن غالب الإسلاميين انتهوا إلى أن الماهية سابقة على الوجود في الممكنات، وأن الوجود قد أضفي عليها من خارجها وفق ما تقرر لدى موجدتها وهو خالقها سبحانه وتعالى².

1 - المرجع نفسه ، ص26-29.

2 - المرجع نفسه ، ص30.

ج- الوجود والماهية في الإنسان:

تقرر الفلسفات الدينية عموماً أن ماهية الإنسان سابقة على وجوده، فالإنسان كائن خلقه الله عز وجل لأداء دور الخلافة في الأرض، وقد أعد لتلقي الهدى الإلهي، المتضمن للأوامر والنواهي الشرعية، وقد كانت خصائص تكوينه وخلقه، مع خصائص الكون الحاضر لوجوده كلها خادمة لنفس الغاية، مما يبين بوضوح أسبقية الماهية عند الإنسان لوجوده.

أما الفلسفات وجودية التي تؤسس للإلحاد فإنها تنطلق من أسبقية الوجود على الماهية التي لم يكن لها وجود في عقل أو علم يحويها، فالإنسان بحسبها يوجد ثم يُعرف، وحسب هذا القول فإننا لن نجد ماهية مشتركة بين بني البشر، ذلك ان الماهية ستتعدد وتختلف من فرد لآخر، لأن كل واحد منهم يعتبر طرازاً منفرداً يتغير في كل لحظة، ينتج في نهايته ماهية خاصة لكل فرد.

وهي فلسفة مفضية لنفي تقبل أي قانون مشترك يحدد للإنسان مساره في الحياة، فالقانون يقوم على الوحدة الجماعية في الماهية الإنسانية، ومن ثم تقرير القول بالحرية المطلقة في السلوك البشري، ونفي وجود أي مبررات للحد منها ووضع قيود لها، فكانت ثمراتها الإباحية والعبثية والتعدي على مختلف الضوابط الأخلاقية¹.

1 - عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان (ط:1؛ دار الزيتونة: الرباط- المغرب، 1996م)، ص 29-32.

3- الوجود والماهية في القرآن الكريم:

أ- العلاقة الزمنية بين الوجود والماهية:

تقوم العلاقة الزمنية بين الوجود والماهية في العقيدة الإسلامية على وجود إله خالق، وعالم مخلوق من قبله، والعلاقة بين هذا العالم والإله ليس وليدة لحظة الخلق، بل إن وجودها جميعاً يمتد إلى سبق وجودها في العلم الإلهي على وجودها العيني.

وامتداد وجود المخلوق وعلاقته بالعلم الإلهي يبرز بوضوح في كثير من النصوص الشرعية، كقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾¹؛ وقوله تعالى: قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾²، وهذا الاقتتان بين أن المخلوقات الإلهية كانت قائمة في علم الله قبل خلقها، فهو سبحانه تعالى خلق كل شيء لأنه عليم بكل شيء، فسبق العلم شرط من شروط القدرة على خلقها، ويبرهن على ذلك طبيعة العالم المتناسقة والمنظمة في صورة بديعة لا تفاوت فيها وتضاد، حيث أن لكل مخلوق ماهية دقيقة معينة، ودورا وغاية وجودية محددة³.

وإذا كانت الأشياء قائمة في العلم الإلهي قبل كونها في عالم الأعيان والوجود الخارجي، فهذا يعني أن سبقت بوجود ما هوي صوري في علم الله، والمخلق الإلهي هو

1- سورة الأنعام: الآية 101.

2- سورة الملك: الآية 14.

3- عبد الحميد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص 32-33.

صدور ذلك العلم بإرادة الله وقدرته ليصبح قائما في الخارج، فيكون الوجود فرعا عن الماهية كما قرره المتكلمون الإسلاميون¹.

ب- خصوصية الإنسان في علاقة الماهية بالوجود:

* خصوصية بيان خصائص الماهية:

بالنظر في النصوص القرآنية الواردة في خلق الإنسان، يتبين لنا بوضوح أسبقية الماهية على الوجود، قال تعالى ، وفي الآية أعلام إلهي بخلق كائن جديد، يحمل من المواصفات ما يؤهله للقيام بواجب عظيم منوط به، وهو الخلافة في الأرض، وختم الآتية أيضا يؤكد معنى حضور الماهية في العلم الإلهي بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^{2 3}.

* خصوصية الماهية الواقعية للإنسان:

مع بيان حضور الماهية وأسبقيتها على الوجود في القرآن الكريم، نجد أيضا بيانا في جملة من النصوص تبين أن الوجود الواقعي الحالي سبق بنوع من الوجود وإن كان من طبيعة مختلفة عن التركيبة الوجودية الحالية، من تلك النصوص؛ قوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾⁴،

1 - المرجع نفسه ، ص34.

2- سورة البقرة: الآية 30.

3 - المرجع نفسه ، ص34-35.

4- سورة الأعراف: الآية 172.

وظاهر الآية أن وجود الإنسان سبق بوجود آخر أخذ فيه عليهم عهد الإيمان، وقد حاض في تفسير الآية المفسرون بين من يرى أن معناها منصرف إلى ما أودعه الله الإنسان من عقل له قدرة على إدراك الوجود الإلهي والاستدلال عليه، ولكن الإمام الرازي في تفسيره بعد عرض الأقوال؛ أجاز أن يكون للإنسان وجود غير جسماني، على اعتبار أن جوهر الإنسان وحقيقته هو نفسه الناطقة، فيكون للإنسان وجودا عينا مختلفا على ما هو عليه في وجوده الحالي¹.

وتشير بعض النصوص أيضا إلى أن أرواح العباد جميعا خلقت جملة واحدة قبل خلق الإنسان عيانا متفرقين، من ذلك: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾²، والحديث النبوي الذي يبين تلاقي الأرواح وتفاعلها قبل نفعها، قال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»³، ووجود الإنسان في عالم الأرواح يبين أن ماهيته كانت حاضرة قبل تلك المرحلة وبعدها، فكان للإنسان ماهيته في صورة روحية هي أهم مكون في طبيعته، ثم ماهية جامعة لمكوناته في هذا الوجود الكوني⁴.

وفي الخلاصة أن ماهية الإنسان سابقة عن وجوده ثابتة في القرآن الكريم، ويتجلى فيها التمييز الواضح بين وجود الإنسان عن بقية المخلوقات، في بيان خصائص تلك

1 - عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص 35-38

2- سورة الأعراف: الآية 11.

3 - أخرجه البخاري في صحيحه.

4 - عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص 36-37.

الماهية وتلاؤمها مع الدور المنوط به، ثم بيان وجود ماهوي آخر سبق هذا الوجود العني في هذا العالم.

ج- عنصر التوحيد في ماهية الإنسان:

إن الماهية هي تلك الخصائص الأساسية للشيء المميزة له عن غيره، وبالنظر في ماهية الإنسان نجد أنها كما تحوز جماع الخصائص المادية الجسمانية، والخصائص المعنوية الروحية كالعقل والفكر والوجدان، نجد أيضا مكونا أساسيا في تحديد إنسانيته، وهو التوحيد، وهو العنصر المكون للماهية الذي لا تنطرق إليه الفلسفات والمذاهب الفكرية البشرية¹.

وما يؤكد هذا المكون هي النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، كآية أخذ العهد السابقة التي بينت أن شهادة التوحيد مركوزة في أصل الخلقة الإنسانية، وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²، وحديث النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسُّون فيها من جدعاء»³، وقوله ﷺ أيضا: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فأجالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا»⁴، والفطرة والحنفية في

1 - المرجع نفسه، ص 39.

2- سورة الروم: الآية 30.

3- رواه البخاري في صحيحه.

4- رواه مسلم في صحيحه.

الآية والحديث ليست إلا التوحيد، الذي يعتبر أصلا في الحلقة المركز في الإنسان، وما يحصل من انحراف وشرك أو تهود أو تنصير وغيره ليست إلا معتقدات طارئة عن طبيعة الإنسان وماهيته¹.

وبذا يتبين لنا بأن حقيقة ماهية الإنسان تتقوم بمعرفة الله والتسليم له بالوحدانية التي تعتبر أهم مكون لماهيته مع بقية العناصر التي أعدت للمهمة العظيمة التي أنيطت بوجوده.

د- التحقيق الواقعي لماهية الإنسان:

تحقق ماهية جميع المخلوقات بصفة ضرورية لا دخل لها في حدوثها، فالجمادات والنباتات والحيوانات تتحقق في الواقع وجودا بخصائصها مكتملة دون أن تكون لها إرادة في إظهار عناصر هويتها، لكن الأمر يختلف بالنسبة للإنسان، فهو وإن كان فيه بعض الخصائص الوجودية التي تتحقق فيه قهرا، كبعض الخصائص الجسمانية والروحية، إلا أن هناك جانبا مهما آخر يكون في تكوينه يكون في حالة الكمون، ولا يتحقق في الواقع إلا بجهد إرادي اختياري، يقوم عليه وجود كمال الماهية الإنسانية في الواقع².

فشهادة التوحيد التي تعتبر العنصر الأساسي في ماهيته، ومكونا رئيسا في فطرته، إلا أن وجدها فيه بالقوة، وهو ما يتطلب من الإنسان إرادة إختيارية تخرجه من موطن القوة إلى موطن الفعل، وقد أشارت إلى هذا المعنى الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

1- عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص40-41.

2- عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص42.

الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ¹، فالإنسان مخلوق في أحسن تقويم بما فطر عليه من توحيد، ومن تحقق منهم بذلك التوحيد في حياتهم اختيارا نال الأجر العظيم، ومن نكص عن أصل خلقته نزل بنفسه إلى أسفل السافلين، وهي مرتبة تنزل فيها الإنسان نفسه منزلا أقل فيه من مرتبة الحيوانية، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا²، ذلك أن الحيوان متحقق وجوده المكتمل قصرا، أما الإنسان فقد قصر عن كماله بفقده أهم عنصر في ماهيته³.

وهذا يبين أن الإنسان قد تنفصل ماهيته في اكتمالها عن وجوده، فيتحقق الوجود وتتخلف الماهية عن الكمال بالتوحيد القائم على الاختيار الحر، وهو عبر عنه مرتضى المطهري بقوله: "فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي يمكن الفصل بينه وبين ماهيته، أي بين الإنسان والإنسانية، وما أكثر الناس الذين لم يصلوا إلى الإنسانية ولا يزالوا في المرحلة الحيوانية"⁴. وقال الراغب الأصفهاني في هذا المعنى كلاما دقيقا: "لما كان الإنسان إنما يصير إنسانا بالعقل، ولو توهمنا العقل مرتفعا عنه لخرج عن كونه إنسانا، ولو يكن إذا تخطينا الشج المائل بهيمة مهملة أو صورة ممثلة، والعقل لن يكمل بل لا يكون عقلا إلا بعد اهتدائه بالشرع كما تقدم، لذا لم نفى الله العقل عن الكفار لما تعروا عن الهداية بالشرع في غير موضع من كتابه، والاهتداء بالشرع هو عبادة الله تعالى، فالإنسان في الحقيقة هو الذي يعبد الله... فالإنسان يحصل له من الإنسانية

1- سورة التين: الآية 4-6.

2- سورة الفرقان: الآية 44.

3- عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص42-43.

4- مرتضى المطهري، الإنسان في النظرة الإسلامية، ص41؛ نقلا عن: عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص44. (لم أجد الكتاب)

بقدر ما يحصل له من العبادة التي من أجلها خلق، فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانية ومن رفضها فقد انسلخ من الإنسانية¹.

وإذا كان تصور الفلسفة الوجودية قائم على أن وجود الإنسان سابق على وجود ماهيته، وأنه هو من يصنع تلك الماهية اختراعاً وفق ما يريد، دون اعتبار لماهية مسبقة أو فطرة داخلية أو مصير واضح، فإن الموقف القرآني يختلف في أن الإنسان ليس حالياً من ماهية مسبقة ثابتة مقرره في العلم الإلهي، حاصلة بالقوة، ويبقى للإنسان الدور بالجهود الإرادية الاختياري في السعي لنقل تلك الماهية من دائرة القوة إلى دائرة الفعل، عبر تحقيق ماهية تقوم على معرفة الله وعبادته².

1 - الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (دط؛ منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت - لبنان، 1983م)، ص 79-80.

2- عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص 46-47.



خلق الإنسان وعناصره في القرآن الكريم



4- خلق الإنسان في القرآن الكريم.

لتعميق مفهوم الإنسان في جوهره ومبناه، وما تعلق به عبر مراحل وجوده المختلفة، لا يمكننا المرور دون الوقوف على المفهوم القرآني للإنسان؛ من خلال أي النص المقدس الذي يجلي لنا مكانته وقيّمته، باعتباره قطبا أساسيا في الوجود، فالوحي هو شعاع الهداية ونور الطريق للإنسان؛ كمخاطب ومكلف؛ سواء في مجال نظره في المحسوسات والمعقولات، أو فيما تجاوزه من المسائل الغيبية التي لا سبيل للوصول إليها إلا بالأدلة السمعية.

فالنظرة القرآنية للإنسان هي القاعدة الناصعة التي تعبر عن حقيقة وجوده، وتوضح بدقة جمال وكمال خَلْقِهِ، حتى يعرف نفسه، وقيّمته، وسبب وجوده، والمهمة التي جعلت منه محل التكرّم الإلهي والاحتفاء القرآني بين جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾¹.

وبمراجعة نصوص القرآن يرى الدارس بوضوح أن الإنسان أحد المحاور الرئيسة في القرآن الكريم، حيث تعرض لمسيرة وجوده من عالم الذر إلى عالم الأرحام والأكوان، محتتمة بالعالم الآخروي وما يتضمنه من مصير. وفي حياته الدنيا تؤكد النصوص على صفاته وخصائصه وميزاته، متتبعة لكل جزئية؛ إرشادا وتوجيها وتذكيرا وترغيبا وترهيبا، حتى يؤدي المهمة العظيمة التي خُلِقَ من أجلها.

1- سورة الملك: الآية 14.

وورد ذكر الإنسان في القرآن الكريم بصيغ مختلفة بالجمع والافراد؛ فذكر مفردا بكلمة: "إنسان" خمسة وستين مرة¹، منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾².

وبصيغ الجمع؛ ذكر ثمانية عشر مرة بكلمة: "إنس" كقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَّقُوا مِنَ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْقُذُوا لَا تَنْقُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾³، وذكر بصيغة "أناسي" في قوله تعالى: ﴿وَنُسِقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾⁴، وبلفظ "إنسيا"⁵ مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنِ أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾⁶.

كما حوُطب الإنسان في القرآن في كثير من الأحيان بخطاب أبينا آدم عليه السلام، بذكره كعلم مفرد، أو بنسبنا إليه بالإضافة بلفظ: "بني آدم"؛ المذكور خمس وعشرين مرة⁷، وهو تعبير عن رابط الوحدة الإنسانية وعن المساواة في خلق والتكريم والخطاب، مصداق ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ»⁸، هذا المعنى العميق

1- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (مرجع سابق)، ص 93 وما بعدها.

2- سورة مريم : الآية 67.

3- سورة الرحمن : الآية 33.

4- سورة الفرقان: الآية 49.

5- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (مرجع سابق)، ص 93 وما بعدها.

6- سورة مريم: الآية 26.

7- المرجع نفسه، ص 24.

8- أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون (ط:1؛ مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، 2001م)، مسند أبي هريرة، رقم: 10781، ج 16، ص 455؛ قال الأرنؤوط : إسناده حسن.

المشترك بين بني الإنسان، عبر عنه القرآن بالمصطلح الأكثر وروداً فيه؛ بلفظ "الناس" حيث ذكر مائتين وإحدى وأربعين مرة¹، موزعاً بشكل شبه متساوي بين السور المكية والمدنية².

وهذا الذكر الواسع المتعلق بالإنسان يعبر عن الاهتمام والعناية البالغة التي حضي بها في نص القرآن الكريم، والتي تبرز في دقائق معانيها طبيعة الإنسان ومكانته ووظيفته في الحياة الدنيا، وكل ما تعلق بتكليفه في الحياة الدنيا ومصيره في الحياة الأخرى.

1- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (مرجع سابق)، ص 93.

2- ورد في السور المكيّة مائة وتسعة عشر مرة وفي السور المدنيّة مائة واثنين وعشرين مرة.

5- عناصر ماهية الإنسان في القرآن الكريم:

■ الإنسان جسم وروح:

بيّن القرآن الكريم أن الإنسان مكون من طبيعتين، مادية متأصلة من طين أقام الله تعالى بها بنيانه، وطبيعة معنوية سامية، تالية لخلقه حصلت له بنفخ الروح فيه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾¹، والسلالة الخلاصة المسلوقة سلاً خاصاً من الطين²، وقال ﷺ أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾³، أي إذا عدلت خلقه وهيأته لنفخ الروح فيه، بإجراء الروح في تجاوير أعضائه فيحيا، وإضافة الروح في الآية إلى الخالق إضافة الملك إلى المالك⁴.

فالإنسان إذن هو جسم مادي وروح. فهل يعني هذا أنه مزدوج التكوين؟ وأنه بين مكونين متناقضين لكل غايته وأهدافه؟

وبالنظر في نصوص القرآن نجد أن الروح والجسد ملاك الذات الإنسانية، تتم بهما الحياة، وبهما يؤدي الإنسان غاية وجوده السامي، فلا يُبْحَسُ الجسد حقه لحساب الروح ولا تُبْحَسُ الروح حقها لحساب الجسد، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ، قُلْ مَنْ

1- سورة المؤمنون : الآية 12

2- الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ج 23، ص 265؛ وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج 18، ص 23.

3- سورة الحجر: الآية 28-29.

4- ابن عجيبة، البحر المديد، (مرجع سابق)، ج 3، ص 87.

حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ¹، وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾².

وليس في القرآن الكريم فصام بينهما، أو انشقاق بين عقل ومادة، أو انقطاع بين سماء وأرض، ففي اللحظة التي تُعَمَّرُ فيها الأرض تُعَمَّرُ سَمَاوُهُ ويتحقق صلاح خلافته، ومن الخطأ الذي وقع فيه القدامى تقسيمهم العالم إلى عالم علوي مستنير وعالم سفلي متكدر حقير، فالعلوم الحديثة بينت الترابط المحكم بين ما نراه ترابا وما نراه نورا، وبين الجوهر والعرض، وبتعبير الفيزيائيين كتلة وطاقة³.

فالعلم اليوم يبين لنا أن ذرات التراب تتفتت فتصبح شعاعا، والشعاع المطلق يتكاثف فيصير حجرا. فالإنسان كل متكامل بشقيه، وأي محاولة للتفريق هي في الحقيقة تعطيل لمكون أساسي في كيانه، له تبعاته على فهمه لحقائق الدين والاستخلاف والتكليف⁴.

1- سورة الأعراف: الآية 31-32.

2- سورة المائدة: الآية 87-88.

3- هذا ما أكدته ألبرت آينشتاين في قاعدته الفيزيائية: " $E = m c^2$ " ، وتعني المعادلة أن طاقة أي جسم تساوي مقدار ضرب كتلته في القيمة التربيعية لسرعة الضوء، مما يولد طاقة كبيرة جدا من كل جسم مهما قل وزنه؛ ينظر: مصطفى محمود، آينشتاين والنسبية (ط:7؛ دار المعارف: القاهرة- مصر، 1993م)، ص65-66؛ وينظر: فرانسوا فانوتشي، ما النسبية؟، ترجمة: عز الدين الخطابي (ط:1؛ كلمة: هيئة أبو ضي للسياحة والسفر- الإمارات العربية، 2012م)، ص48.

4- العقاد، الإنسان في القرآن، (مرجع سابق)، ص30-33.

■ الإنسان روح وعقل ونفس:

وقد فَصَّلَ القرآن الكريم الجانب المعنوي في الإنسان، بين الروح والعقل والنفس؛ كقوى حية في الذات الإنسانية، لها تأثيرها ودورها الرئيس، فَبَيَّنَ النص أن أمر الروح خفي فوق إدراك الإنسان المحدود، وهي السر الذي لا يعلمه إلا الله، وهي صورةً ناطقةً في ذات الإنسان تبيّن له عجزه وضعفه حتى عن إدراك أهم شيء في طبيعته، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾¹، فالروح كما عرفها ابن عاشور في تفسيره: "هي الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني الذي دلت عليه آثاره، وهو الذي يَتَقَوَّمُ في الجسد الإنساني"².

أما النفس فالراجح فيها أنها: قوة حيوية تشتمل الإرادة والغريزة وهي تعمل واعية أو غير واعية، وقد ارتبطت في كثير من النصوص القرآنية بالعمل والإرادة، فهي القوة التي تعمل وتريد مهتدية بهدي العقل، أو منقادة لنوازع الطبع أو الهوى، لكن المؤكد أن ذات الإنسان أعم من النفس؛ فهو المسؤول عنها³، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾⁴. فالنفس هي محل الإحساس بالنعمة والعذاب، وهي الملهمة بالفجور أو التقوى، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ

1- سورة الإسراء : الآية 85.

2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج15، ص196.

3- العقاد، الإنسان في القرآن، (مرجع سابق)، ص36-38.

4- سورة النازعات: الآية 40-41.

وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ
دَسَّاهَا¹.

وهي التي تحاسب عما عملت من سيئة أو حسنة. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾²، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾³، وهي مصنفة في القرآن
الكريم بحسب حالها وعملها؛ فهي بين كونها نفسا أمارة بالسوء ، أو نفسا لوامة، أو
نفسا مطمئنة⁴.

أما العقل فهو: الغريزة التي في الإنسان والتي بها يعلم، ويميز، ويقصد
المنافع، ويجتنب المضار⁵. وقيل العقل: صفة النفس وهو بالنسبة إلى النفس
كالبصر بالنسبة للعين، وهي بواسطته مستعدة لإدراك المعقولات، كما العين بواسطة
البصر مستعدة إدراك المحسوسات⁶، وغاية الأمر أنه مناط التكليف وحجة على
الإنسان، به يكون مسؤولا عن كل أعماله، وبه يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وبه
يذكر إن نسي، وينبه إن غفل.

1- سورة الشمس: الآية 7-10.

2- سورة المدثر: الآية 38.

3- سورة آل عمران: الآية 30.

4- ابن قيم الجوزية، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (دط؛ دار
الكتب العلمية - بيروت، دت)، ص175 وما بعدها.

5- ابن تيمية، رسالة في العقل والروح (ط:2؛ دار المحجة: دمشق - سوريا، 1988م)، ص33.

6- أبو حامد الغزالي، معارج القدس في معرفة النفس (ط:1؛ دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان ،
1988م)، ص42.

وبجملته القوى المعنوية المتمثلة في الروح والعقل والنفس التي يجمعها البدن، تتشكل ذات الإنسان، ولا يعني الأمر تعدداً أو انفصاماً، بل هو كيان واحد اسمه الإنسان؛ كيان أعم وأشمل منها جميعاً¹، ويمكن القول أن الإنسان يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه، ويحقق غرائزه ودوافعه الجسمية بنفسه، ويتصل بعالم البقاء بروحه، وبعقله يدرك ما وسعه بحدود، لكنه لا يدرك الحقيقة كلها إلا بالإيمان².

لذلك يخاطبنا القرآن دائماً بقوله: أفلا تعقلون؟ أفلا يبصرون؟ أفلا يتفكرون؟ أفلا يتدبرون؟ أفلا تتذكرون؟ يا أولي الألباب. أليس منكم رجل رشيد؟³

والقرآن دائماً يدعو إلى تفعيل العقل ودوره في ترسيخ الإيمان، وكشف دلائل الأنفس عن عظيم بارئها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾⁴؛ وقال أيضاً: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾⁵، ويحث القرآن أيضاً على السير والتأمل والتدبر في سنن الخالق، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾⁶، ويشيد بأهل النظر، والتفكير، والتأمل في الآفاق، حتى يصلوا إلى أرسخ الإيمان، لأنهم: ﴿يَتَفَكَّرُونَ

1- العقاد، الإنسان في القرآن، (مرجع سابق)، ص38.

2- المرجع نفسه، ص40. (بتصرف).

3- العقاد، الإنسان في القرآن، (مرجع سابق)، ص24.

4- سورة الروم: الآية 8.

5- سورة الذاريات: الآية 21.

6- سورة الحج: الآية 46.

فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ¹.

وبتفعيل العقول كما أمرنا ربنا ﷻ يحصل البيان ، والتبليغ ، قال تعالى: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾²، ولا يبقى لنا بعد تفعيل القوى العقلية، وحصول
اليقين بالإيمان؛ إلا الخضوع والاستسلام لله رب العالمين، وخطب تمام العبودية الميسورة
ابتغاء مرضاته.

حُسْنُ الْخَلِيقَةِ:

بيّن القرآن الكريم أن الإنسان مخلوق على أحسن صورة، وقد كرم الله آدم بخلقه
بيديه³، تشريفا وتكريما وعناية، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾⁴،
وذهب بعض أهل التفسير أن التقويم في الآية متعلق بالشكل، أي: في أحسن تعديل
لشكله، وصورته، وتسوية أعضائه⁵، وقال بعضهم: تقويم خاص بالإنسان دون غيره،
بتقويم إدراكه ونظره العقلي الصحيح بشكل متناسب مع وظيفته⁶.

وجمع المعنيين - في نظري - جائر ومحمود، وتعضده آيات كثيرة، كقوله
تعالى: ﴿ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ

1- سورة آل عمران: الآية 191.

2- سورة آل عمران: الآية 118.

3- الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ج21، ص374. (بتصرف)

4- سورة التين : الآية 4.

5- سعيد حوى ، الأساس في التفسير، (مرجع سابق)، ج11 ، ص6591.

6- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج30 ، ص423-424. (بتصرف)

وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ¹، فالإنسان إذن كُرِّمَ بأحسن تقويم في الظاهر بالصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، وبتقويم الباطن بالتمييز بالعقل، والإفهام والبيان بالكلام، والإشارة، والخط، والتهدى إلى أسباب المعاش والمعاد²، حتى يتمكن من أداء وظيفة وجوده بأيسر وأكمل وجه.

الإنسان المكرم:

أول ما يشد انتباه الدارس للآيات القرآنية المتعلقة بالإنسان، مرحلة بداية وجوده في رحلته الكبرى، كتمهيد عن تمكين الله للجنس البشري في الأرض، مخاطبا الملائكة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً³﴾، في صورة من صور احتفاء الوجود بقدمه بأمر إلهي في استقبال عظيم يعلن فيه المقام المحدد واللائق بهذا المخلوق بين الموجودات، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة، ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان⁴، بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

1- سورة السجدة : الآية 6-9.

2- أحمد بن محمد بن أبو العباس عجيبة ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان (ط:2؛ دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، 2002م)، ج3، ص216.

3- سورة البقرة : الآية 30.

4- سيد قطب ، في ظلال القرآن (ط:17؛ دار الشروق : بيروت- القاهرة ، 1412 هـ) ، ج4، ص2241. (بتصرف)

فَسَجُدُوا¹، ويقوله تعالى مذكرا للإنسان بفضله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُنَّا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجُدُوا﴾².

فالقرآن الكريم يبيّن أن الإنسان كان من البداية محل العناية الإلهية، فبعد الخلق مباشرة جاءت مرحلة تفعيل نعمة العقل؛ بتعليمه الأسماء كلها، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾³، ومما يستفاد من ورود هذه القصة في القرآن عدّة مرات؛ إظهار مزية النوع الإنساني، وأن الله خصه بمقام كريم، وبخصائص ومزايا مختلفة، أبرزها المعرفة والعلم⁴.

وبيّن القرآن مكانة الإنسان في قمة الترتيب بين سائر الخلائق، فهذا العالم وجميع منافعه ومصالحه مصروف إلى هذا المخلوق، فالإنسان فيه كالرئيس المخدوم والمطاع⁵، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁶، تفضيل يقوم على تسخير الكون كله لخدمته، وتيسير أداء دوره العظيم، بإمداده بعون القوى الكونية المبتوثة في الأرض والكواكب وسائر الأفلاك.

1- سورة البقرة: الآية 34.

2- سورة الأعراف: الآية 11.

3- سورة البقرة: الآية 31-32.

4- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج 1، ص 421.

5- الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ج 21، ص 374. (بتصرف)

6- سورة الإسراء: الآية 70.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹، أي سخر لكم الشمس والقمر والنجوم وغيرها في السماء التي تظلكم، وسخر لكم الدواب والشجر والجبال والجماد في الأرض التي تقلكم، والملائكة التي تستغفر لكم، وغيرها مما لا يعلمه الخلق² في منافعكم ومصالحك، فالله ﷻ تفضّل بنعمه عليكم، فإياه فاحمدوا وأفردوه بالشكر والعبادة، وأخلصوا له الألوهية³.

ومع تسخير الكون تسخير النواميس وجعلها موافقة لطبيعة الحياة الإنسانية، وما ركب فيها من استعدادات تقوم عليها الحياة الإنسانية⁴. وهو ما ييسر لهذا المخلوق سيادة الأرض والقدرة على تطويعها واستخدامها بما أودعه الله من نعمة العقل، وما يتيح من معرفة ببعض قوانين هذا الكون، وسبل استثماره في حاجته⁵.

1- سورة الجاثية: الآية 13.

2- ابن عجيبة، البحر المديد، (مرجع سابق)، ج3، ص217. (بتصرف)

3- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مرجع سابق)، ج22، ص65. (بتصرف)

4- سيد قطب، في ظلال القرآن، (مرجع سابق)، ج4، ص2241.

5- المرجع نفسه، ج3، ص1262.



النقد العلمي لنظرية داروين



6- النقد العلمي لنظرية داروين:

أ- مقولة التطور ودعائمها:

يراد بالتطور ذلك الأسلوب في نشوء الكائنات الحية، والذي يقوم على الترقى في أشكال الحياة؛ ترقياً يثمر على التوالي الأنواع الحية الأكثر تعقيداً وارتقاءً في البنية من سابقها، ويقتضي التطور أن تكون كل الكائنات الحية راجعة في نشوئها إلى أصل واحد تفرعت عنه عبر الزمن بالتنامي المستمر والارتقاء المطرد¹.

وقد اشتهر هذا التفسير لنشوء الحياة على أساس نظرية التطور كنظرية علمية مع العالم البريطاني "دارون" (1829م)، وفي الحقيقة أن لهذه الفكرة مقدمات وحضور في الفكر الإنساني منذ وجد تناول الفيلسوف للوجود، ولكنها إرهابت كانت متوقفة عند ملاحظة الترتيب التفاضلي بين الموجودات، مع ملاحظة التعاقب الزمني بينها أحيانا دون الإشارة إلى أي صلة انقلابية بين تلك الأنواع².

وقد شهدت النظرية قفزة نظيرية مشهودة على يد العالم الفرنسي "لامارك" (1829م) في كتابه: "فلسفة علم الحيوان"، حيث قرر أن الأنواع ثابتة بصفة مؤقتة فقط، لأنه إذا تغيرت ظروف الحياة لنوع ما فإنه يحدث له تغير في حجمه وشكله وتناسب أجزائه ولونه، وذلك استجابة إلى التغير البيئي الذي يغير احتياجات النوع، فيتغير سلوكه بالتبع في تفعيل أعضاء واستخدامها أكثر من غيرها، فتبرز المستعملة

1- عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص97.

2- المرجع نفسه، ص98-100.

وتتقلص المهمة حتى تزول، ثم تنتقل التغيرات الطارئة من جيل إلى آخر عبر الوراثة¹.

ثم جاء "دارون" وشكل من جهود "لامارك" نظرية متكاملة في تفسير نشوء الحياة على أساس التطور الانقلابي للأصناف، وقوام نظرية التطور عنده؛ أن الأنواع الحية ترجع كلها إلى أصل واحد، وإنما وصلت على ما وصلت عليه بسبب فروق ضئيلة بين أفراد منتمين إلى نوع واحد لها الاستعداد الطبيعي للتحويل، وهو استعداد يتجسد في واقع تحولا فعليا بتأثير الظروف البيئية، وملاءمة الحيوان نفسه في المحيط البيئي المتغير الذي يعيش فيه، ومن ذلك المحيط يحصل التفاعل في استعمال أعضاء بشكل أبرز فتنمو وتتقوى، وينتج عنه أيضا إهمال أخرى حتى تضمر وتلاشى، من هذا التحول الجزئي التراكمي تتأصل تلك الصفات المكتسبة وتنتقل من جيل إلى آخر وراثيا².

ومع تعاقب الأجيال تظهر أنواع مخالفة لأصلها وتتميز بالبرقي والكمال، بفعل تأثير متداخل لمبدأ الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي؛ وفكرة الانتخاب الطبيعي تقوم على أن الكائن الحي يخوض صراعا مع الطبيعة بظروفها المادية وكائناتها الحية، وفي هذا الصراع من أجل البقاء تكون الغلبة للقوي ومن له صفات وقدرات على مغالبة التحديات، وتكون الهلكة للأضعف، فتنتخب الطبيعة الحيوانات الأقوى للبقاء، وتتوارث الأبناء صفات القوة والترقي من الآباء، في مسار تصاعدي نحو الأكمل³.

أما الانتخاب الجنسي فيتمثل في أن الإناث لها انجذاب طبيعي للذكور الأقوى والحاملة للصفات الأرقى، ومن صراع الذكور المتنوع حسب أنواعها، يتقرر من منها

1- عبد الحميد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص 40-41.

2- المرجع نفسه، ص 100-101.

3- المرجع نفسه، ص 101-102.

سيورث صفاته عبر التكاثر إلى الجيل التالي، فلا يكون لحاملي الصفات الضعيفة الفرصة للتكاثر، وبذلك تنتقل صفات النور نحو الكمال الرقي باستمرار¹.

وإن كان هذا التحول يسير في عمومته نحو الترتي والتطور، فقد يحصل لنفس الأسباب المتعلقة بالظروف البيئية أن يتوقف التطور بثبات أحول البيئة وان يتقهقر بتقهرها، حيث تنزل الكائنات في صفاتها.

والإنسان في هذا التصور مشمول بهذا التطور، ويطراً عليه ما يجري على جميع الكائنات، وان حاله لا يعدوا أن يكون حيوانا متطورا بدرجة عن سائر الحيوانات، وأن ما لديه من صفات الذكاء وما يجوزه من عاطفة أخلاقية ، ليست إلا اكتسابا من تجربة تطورية طويلة الأمد.

ويتم هذا التحول عند دارون من سار في مساره دون وجود غائية محددة، بل بآلية ذاتية تنتفي معها كل الإرادات الخارجة عن تلك الكائنات².

وتقوم فكرة التطور على أدلة وتاريخ موغل في القدم، ولا يقف الإنسان منه في وثوق إلا على بعض الآلاف من السنين، فكان النظر والاستدلال بها لون من التخمين والافتراض؛ ومن أبرز ما تقوم عليه من أدلة ما يلي³:

■ **السجل الجيولوجي:** وهي البقايا الحيوانية المحفوظة في باطن الأرض ضمن طبقاتها الرسوبية، حيث تعتبر مخزونا يتم من خلاله تحديد الأنواع المختلف، وتحديد

1- عبد الحميد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص102.

2- المرجع نفسه، ص103.

3- المرجع نفسه، ص104-106.

أعمارها وتتابع وجودها من خلال نسبة الإشعاعات الصادرة عنها.

■ **تشابه الأنواع الحية وصفاتها:** حيث يبين لعم التصنيف الحيواني وجود تشابه وتالي متدرج ومتنوع في الصفات، مما يساعد على تصنيفها في أجناس وأنواع ومعرفة القواسم المشتركة بينها والفروق الممايز لها عن بعضها، ومن ثم تصنيف تاليها وتدرج مراتبها.

■ **الأعضاء الأثرية والأعضاء النامية:** حيث يلاحظ انقراض بعض الأعضاء في الحيوانات، ونماء أعضاء أخرى تمثل حاجة للحيوان في بيئته.

■ **تشابه الأطوار الجنينية:** فرغم الاختلاف الظاهري للحيوانات، فإن الأجنة تتشابه كثيرا في مراحل تكونها وتطورها، وخاصة المرحلة الأولى التي تعتبر نموذجا عن الصدور عن الأصل المشترك للأنواع، وكان الجنين يحكي قصة التطور والتنوع من أصل واحد بصورة مختصرة.

■ **التوزع الحيواني والنباتي على الأرض:** فالأراضي الجغرافية المنفصلة عن بعضها، تتشابه الحيوانات والنباتات كل منطقة فيما بينها، وتختلف عن حيوانات ونباتات المنطقة الأخرى، مما يعبر دليلا على حصول التطور لها بعد أن كان أصلها واحد.

ومن هذه المرتكزات الرئيسية يستخلص دعاء نظرية التطور الشواهد التفصيلية وأمثلتها الجزئية في صفات النباتات والحيوانات والإنسان.

وبناء على هذه المستندات فقد وجد للإنسان في أحافير الطبقات الجيولوجية نسخا أقل اكتمالا، وحين مقارنة الإنسان بالثدييات وخاصة القرد يظهر بالنسبة إليها غير مختلف عنها إلا بالكم والدرجة، والإنسان في أطواره الجنينية يشبه الحيوانات الفقارية خاصة في تكون ذيل يختفي بالنمو شيئا فشيئا، وهو في توزعه الجغرافي يمثل

أجناسا مختلفة، ولكل جنس خصائصه المميزة، التي وجد لها تناسب بينها وبين القردة في تلك المنطقة¹.

ب- نقض مقولة التطور :

رغم الانتشار الواسع لنظرية التطور والقائلين بها إلى اليوم، ألا أنها اشتملت على نقاط ضعف أودت بها على ما يقارب السقوط التام كنظرية علمية تفسر نشوء الحياة ومراحلها، وما بقاؤها غلا بسبب الاستغلال الأيديولوجي (الفلسفة المادية وما تبعها من مذاهب اقتصادية واجتماعية)، ومن أبرز ما يناقض هذه النظرية ما يلي:

أولاً: مستندات تخمينية: حيث نجد أن المستندات التي تقوم عليها نظرية التطور ليست قائمة على اليقين، مما يجعل النظرية برمتها أقرب للافتراض منها إلى الثبوت، وهذا ما تؤكد اعترافات داروين نفسه في نقص تلك الأدلة واحتماليتها²،

ثانياً: النقص في الأدلة: حيث أن مرتكز النظرية على السجل الجيولوجي مشوب بعيب النقص، يقول دارون في كتابه "أصل الأنواع": "إن السجل الجيولوجي بوصفه تاريخاً لهذه الدنيا إنما هو سجل ناقص ومكتوب بلهجات متغايرة على الدوام، وأنا لا نملك من هذا السجل إلا المجلد الأخير، ولم يبق كاملاً من هذا المجلد غير فصول قصار

1- عبد الحميد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص106-107.

2 - محمد حسن آل ياسين، الإنسان بين الخلق والتطور (ط:3؛ المكتب العالمي: بيروت-لبنان، 1983م)، ص62-64.

تناثرت هنا وهناك، كما لم يبق من كل صفحة منها إلا بضعة سطور"¹.

ثالثا: غياب أدلة التحول: إذ ما وجد من بعض الأدلة الجيولوجية ليس غلا دليلا عن وجود وتعاقب بين الأنواع، وليس هناك أي دليل على حصول التحول يقينا².

رابعا: إن الاستناد إلى دليل الانتخاب الطبيعي والجنسي رأى ضعيف: تنفيه وجود الحوادث الشاملة التي تأتي عليهما معا، كالكوارث الطبيعية والاكنتساحات الجليدية والتحويلات المناخية، كما أن الانتخاب الجنسي الذي تلعب فيه الصدفة دورا كبيرا كما ثابت بالمشاهدة، كما نجد أن كثيرا من الحيوانات حافظت على خصائصها ملايين من السنين دون أي يحصل لها أي تطور³.

خامسا: الانتقال الوراثي للصفات: أثبت العلم الحديث أن الصفات الوراثية تنتقل عبر المادة الوراثية في النواة، وأن تلك العملية تتم بدقة عالية عن طريق جملة من الاستنساخ والانقسامات المؤدية على انتقال صفات الآباء إلى الأبناء، وأن الصفات المكتسبة فهي خارج دائرة الانتقال الوراثي، بدليل أن بتر الأعضاء أو بعضها لا ينتقل إلى الأبناء⁴.

سادسا: غياب الزمن الكافي: إن رواية نظرية التطور تتطلب أزمانا طويلة، تستلزمها التحويلات البطيئة جدا لكي تنتقل من نوع إلى آخر، وهو ما يفوق الزمن

1 - محمد حسن آل ياسين، الإنسان بين الخلق والتطور (ط:3؛ المكتب العالمي: بيروت-لبنان، 1983م)، ص64.

2- عبد الحميد النجار، مبدأ الإنسان، (مرجع سابق)، ص108.

3- المرجع نفسه.

4- المرجع نفسه.

المتاح التقديري منذ وجد الخلق إلى هذا الوقت.

وفي ما ذكر بإيجاز بيان إلى أن نظرية التطور نظرية لا تتأسس على أدلة قاطعة متكاملة، ومن ثم فإن نتائجها لا تصل إلى اليقين، وقد اختلف علماء في قبولها وردّها، باعتبارها منافية للنصوص وفق تأويلهم، في حين رأى البعض الآخر ألا تناقض بينها وبين نصوص الوحي وأن ما فيها لا يعدوا لونا من ألوان التدرج والمرحلية في الخلق.



قيمة الإنسان في العقيدة الإسلامية



7- قيمة الإنسان في العقيدة الإسلامية:

إن الإنسان في التصور الإسلامي يحظى بالرفعة وعلو الشأن، باعتباره إنساناً بقطع النظر عن عوارض ذاته من لون أو جنس أو دين، فهو كائن لا يدانيه في قيمته مخلوق آخر، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الرفعة بمصطلح التكريم الذي خص به الله أبو البشر آدم وذريته من بعده، وبلغ التأكيد القرآني لمعنى تكريم الإنسان مبلغاً واسعاً، وجاء بصيغ وأساليب مختلفة، ما صار به يرقى إلى أن يكون عقيدة ثابتة تسمى: بعقيدة تكريم الإنسان.

أ- أثر الإيمان بعقيدة التكريم الإلهي للإنسان¹:

نجد لهذه العقيدة الأثر الكبير في النفس والمجتمع يظهر في جملة من النقاط أهمها:

- استشعار الإنسان لرفعه ذاته يفضي به إلى استعظام دوره في الحياة، وبمقدار وعيه بدوره المهم في الحياة بمقدار استعداده لأداء هذا الدور وإجادته ومن ثم قيامه بواجب الاستخلاف على أكمل وجه.
- إن شعور الإنسان بالكرامة الوجودية، والرفعة عن بقية المخلوقات جميعاً، يجعله في موقفه الامتنان والشكر لله سبحانه وتعالى، ويبعده عن كل صور اليأس والقنوط والعبثية التي تتسم بها الحياة حال عدم استحضار لأهدافها وغاياتها الكبرى، فان فقدان الإنسان لقيمه ذاته وعدم اعتباره وتقديره لأهدافه وغاياته مفض به إلى حالة من التيه الذي له أثاره على حالته النفسية والسلوكية

1 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان (ط:1؛ دار الزيتونة: الرباط-المملكة المغربية، 1996م)، ص11.

(بتصرف)

■ إن احترام الإنسان لنفسه ابتداءً، ووعيه بدوره الاستخلافي في تجسيد الإرادة التشريعية للخالق عز وجل في النفس والحياة، مفض به لا محالة إلى حسن التصرف الاجتماعي الذي يقوم على احترام الذات البشرية في عمومها ومراعاة حقوق الإنسان في مظاهرها المختلفة بغض النظر عن الاختلافات والعوارض البينية بين بني البشر، إذ الكرامة الإلهية للإنسان سابقه له عن كل تكليف، فكلكم لآدم وادم من تراب، ثم إن نجاح الإنسان وسيره في كمالات كراماته لا يتأتى إلا بمقدار إتباعه للهدى الإلهي المفضي به إلى تحقيق الكمال البشري الميسور.

■ إن كرامه الإنسان تعتبر خزاناً مثمراً لسلوك يهدف إلى تعمير الأرض مادياً ومعنوياً وتحقيق الغاية من الوجود الإنساني، إن كرامه الإنسان تؤسس ابتداءً لواجبات تجاه نفسه واتجاه مجتمعه تأسيساً وجودياً ابتداءً، ثم تأسيساً تشريعياً يحقق للإنسان مصالحه في الدنيا والآخرة، ويفضي إلى عماره النفس بتزكيتها، وعمارها الأرض ببنائها وعمرائها

إن الإنسان في التصور الإسلامي يحظى بالرفعة وعلو الشأن، باعتباره إنساناً بقطع النظر عن عوارض ذاته من لون أو جنس أو دين، فهو كائن لا يدانيه في قيمته مخلوق آخر، وقد عبر القرآن الكريم عن هذه الرفعة بمصطلح التكريم الذي خص به الله أبو البشر آدم وذريته من بعده، وبلغ التأكيد القرآني لمعنى تكريم الإنسان مبلغاً واسعاً وجاء بصيغ وأساليب مختلفة ما صار به يرقى إلى أن يكون عقيدة ثابتة تسمى بعقيدة تكريم الإنسان

أثر الإيمان بعقيدة التكريم الإلهي للإنسان:

نجد لها اثرا كبيرا في النفس والمجتمع يظهر في جملة من النقاط أهمها:

■ استشعار الإنسان لرفعه ذاته يفضي به إلى استعظام دوره في الحياة، وبمقدار وعيه بدوره المهم في الحياة بمقدار استعداده لأداء هذا الدور وإجادته ومن ثم قيامه بواجب الاستخلاف على أكمل وجه.

■ إن شعور الإنسان بالكرامة الوجودية، والرفعة عن بقية المخلوقات جميعا، يجعله في موقفه الامتنان والشكر لله سبحانه وتعالى، ويبعده عن كل صور اليأس والقنوط والعبثية التي تتسم بها الحياة حال عدم استحضار لأهدافها وغاياتها الكبرى، فإن فقدان الإنسان لقيمه ذاته وعدم اعتباره وتقديره لأهدافه وغاياته مفض به إلى حالة من التيه الذي له أثاره على حالته النفسية والسلوكية.

■ إن احترام الإنسان لنفسه ابتداء، ووعيه بدوره الاستخلافي في تجسيد الإرادة التشريعية للخالق عز وجل في النفس والحياة، مفض به لا محالة إلى حسن التصرف الاجتماعي الذي يقوم على احترام الذات البشرية في عمومها ومراعاة حقوق الإنسان في مظاهرها المختلفة بغض النظر عن الاختلافات والعوارض البينية بين بني البشر، إذ الكرامة الإلهية للإنسان سابقه له عن كل تكليف، فكلكم لآدم وآدم من تراب، ثم إن نجاح الإنسان وسيره في كمالاته كراماته لا يتأتى إلا بمقدار إتباعه للهدى الإلهي المفضي به إلى تحقيق الكمال البشري الميسور.

■ إن كرامة الإنسان تعتبر خزاناً مثمراً لسلوك يهدف إلى تعمير الأرض مادياً ومعنوياً وتحقيق الغاية من الوجود الإنساني، إن كرامة الإنسان تؤسس ابتداء لواجبات تجاه نفسه واتجاه مجتمعه تأسيساً وجودياً ابتداء، ثم تأسيساً تشريعياً يحقق للإنسان

مصالحه في الدنيا والآخرة، ويفضي إلى عماره النفس بتزكيتها، وعمارة الأرض ببنائها وعمرائها.

ج- شرفية الخلق¹:

لقد أفاض القرآن الكريم والحديث الشريف عن ذكر خلق الإنسان الأول آدم في معرض الوصف والإخبار وفي معرض المنة والتفضل والاعتبار، وهو أمر لم يحظ به أي مخلوق آخر دلالة على علو الشأن وجلالة القدر، ومن مظاهر ذلك الاحتفال بميلاده وإعادة ذكره باستمرار كعلامة على رفعة رفعة قيمته الذاتية وتميزه عن سائر المخلوقات، ثم إن تلك العناية الإلهية الخاصة المباشرة بخلق الإنسان امتدت إلى مظهرين كبيرين تمثل في مباشرة خلقه بيديه ثم تصويره وتكوينه على أحسن تقويم، وهو معنى من الإيثار والقربى لا نجد له مثيلاً عند سائر المخلوقات.

■ خلق الإنسان بيدي الرحمن: وهي علامة عظيمة وتشريف كبير للإنسان إذ لا يتولى الله خلق شيء بيديه، إلا إذا كان الأمر كبير المقدر رفيع القيمة، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيٍّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ الْعَالِينَ﴾²، وفي خلق الله عز وجل للإنسان بيديه كرامة تحمل أيضاً تنزيه الخالق عن مشابهة الخلق، لذلك اختلف العلماء في تأويل مسألة الخلق بيدين على أقوال؛

قال الرازي: "غاية العناية مصروفه إلى ذلك العمل"، ويرى الإمام ابن عاشور أن المعنى: أي خلقتك بقدرتي خلقاً خاصاً دفعة مباشرة لأمر التكوين، أي تعلق التكوين أقرب من تعلقه بإيجاد الموجودات المترتب وجودها عن أسباب الحمل والولادة وغيرها،

1 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص13. وما بعدها (بتصرف)

2- سورة ص: الآية 75.

فتكوين آدم من مجرد أمر التكوين للطين بهيئة الفخار - والله المثل الأعلى - لإناء من طين إذ يسويه بيديه.

وهناك من حمل اليدين على المعنى الحقيقي ك: الألوسي في روح المعاني؛ للوجه اللائق بالله تعالى مستندين ببعض الآثار حين سألت الملائكة الله عز وجل أن يجعل لبني آدم الدنيا ولهم الآخرة، فقال: "وعزتي وجلالي لا أجعل من خلقته بيدي، كما قلت له كن فكان".

والآية على أي وجه حملت يتحقق بها الشرف للإنسان بتخصيصه بالعناية عند خلقه.

وفي الآية أيضا استنكار مشدد على إبليس لامتناعه عن السجود لمخلوق أثير عند الله حائز للعناية الكبيرة، وهو ما صار به إبليس بالغا ذروة المكابرة مستحقا لشديد التنكير والتفريع، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾¹، والنفخ من روح الله غير محمول على معناه الحقيقي كما توهمه بعض الحلولية، فذهبوا إلى أن الإنسان حل به جزء من أجزاء الله تعالى، والمعنى إسناد النفخ إضافة الروح إلى ضمير اسم الجلالة تنويه بهذا المخلوق الذي خصه تعالى بعنصر شريف في تكوينه وهي الروح التي أضافها إلى نفسه تعريفا بشرفه وقدسيته.

■ الخلق على الصورة²:

ومن شرفية التي حظي بها الإنسان من ربه سبحانه وتعالى أنه خلق على الصورة، وهو معنا مستقى من عدد من النصوص والأحاديث ففي قول الرسول ﷺ: "خلق الله

1- سورة ص: الآية 70-71.

2 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص16. (بتصرف)

آدم على صورته"¹، وفي بعض طرقه على صورة الرحمن، وحديث: "من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورته وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن".

واختلف المفسرون في سورة آدم أي على سورة آدم أم على صورة الله تعالى، ومفهوم الحديث يجب أن يحمل على غير الحقيقة تنزيها فيكون المقصود بها: "صفاته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك..." وهي إضافة تحمل معنى التشريف والرفعة كما قال ابن حجر في فتح الباري.

■ خلق الخليفة²:

بين الله تعالى أن هذا الكائن الذي حظي بعنايته، أعد لدور هام هو الخلافة في الأرض، فقال تعالى في مقام إعلام الملائكة بخلق آدم:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾³

فتخصيص الإنسان بأنه خليفة في الأرض ينفذ أوامر الله ونواهيها يحمل تشريفا عظيما فالخليفة تحدد منزلة شرفه من منزلة مستخلفه، فما بالك بمن كان مستخلفه الله جل شأنه.

فكل ما ذكر من عناصر خص بها الإنسان دون غيره من المخلوقات حيث خلقه الله بيديه، وأنشأه على صورته ونفخ فيه من روحه وأعد ليكون خليفته في الأرض، كلها عناصر تبرز لنا شرفية عظيمة حظي بها هذا الإنسان في خلقه عن سائر المخلوقات.

1 - رواه البخاري في صحيحه.

2 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص17. (بتصرف)

3- سورة البقرة: الآية 30.

ج- حسن التقويم¹:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾²، والتقويم هو التعديل والتسوية فالإنسان خلق على درجة رفيعة هي أرفع الدرجات في بنيته: اعتدالا وانسجاما وتسويه، فكان بذلك حائزا على أرفع الدرجات في التكريم الإلهي بالنظر إلى التكوين الذي خلق عليه.

إن قيمة كل شيء من حيث البنية ترتبط بمدى تحقيق تلك البنية للغرض الذي أوجدت من أجله، فكلما كانت البنية أكثر تحقيقا للغرض ارتفعت القيمة والعكس صحيح.

وقيمة البنية في الأشياء تتبع قيمة الأغراض المفعولة لها، فكلما كان الغرض رفيع كانت البنية إذا ما أدت إلى تحقيقه رفيعة القيمة.

فتتفاوت البنية الأشياء:

- بحسب الأغراض.

- وبحسب تأديتها لتلك الأغراض.

وهو ما حظي به الإنسان في أعلى صورته تكريما، فخلق لأعلى غاية بالنسبة للموجودات في الكون كلها وهي الخلافة في الأرض، وخلق على أحسن تقويم لتأدية ذلك الغرض.

1 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص18. (بتصرف)

2- سورة التين: الآية 04.

■ المقصود بالتقويم في بنيه الإنسان¹:

وهو التقويم الشامل الذي يتناول كلا من البنية المادية والبنية المعنوية، فكلاهما خلق على أحسن تقويم في ذاتهما من جهة، وبالنظر إلى ترابطهما ووحدهما في تكوين الإنسان من جهة أخرى.

وهي مظاهر عديدة لا تحصى سواء نظرت إليها في وجهها الخارجي حيث تتعامل مباشرة مع الكون، أو نظرت إليها من الداخل حيث كشف تقدم العلم عن عجيب الصنع، ودقيق التفاعلات في خفايا الأنسجة مما يفضي في مجمله إلى تيسير التعامل مع البيئة الكونية، والأمثلة التفصيلية في ذلك أكثر من أن تحصى، فلو نظرنا لكل حاسة وكل عضو وكل خلية لوجدنا لتموضعها وشكلها ودورها حكما ومقاصد في غاية الانسجام والدقة.

1- البنية المعنوية:

وهي أعلى شانا من البنية المادية لان هذه البنية هي التي تقوم بها ماهية الإنسان وهي التي تدبر سيره الاستخلاف وتسوق الجسم لتنفيذ تديرها ومن عناصر البنية المعنوية:

أ- العقل:

وهو اشرف العناصر في هذه البنية المعنوية، إذ هو مناط التكليف لانجاز وظيفة الخلافة أصلا، لذلك بني على خصال عجيبة منها:

1 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص19. (بتصرف)

* التمييز بين الحق النافع وبين الباطل الضار:

وفي ذلك عصمه للإنسان من الوقوع في المهالك، والدفع له للاتجاه إلى مصالحه التي تحقق الغرض من الوجود.

* **القدرة على الاستيعاب¹**: وهي قدره تمكن الإنسان من استيعاب ما هو غائب عنه من الحقائق سواء تعلق منها بعالم الغيب أو الشهادة حيث يمكن للعقل استحضار صورته ما خفي من قوانين وأسرار وطبائع، ويمكن تلك الصور المعلومة لديه والحاضرة في الذهن أن تنمو وتتوسع، وكلما توسعت زادت قدرته على أداء أدواره والغرض من وجوده.

* **قوه التذكر والاختزان للمعارف والحوادث²**:

وهي منه إلهية عظيمة بها ومن آثارها تمام وحده الذات البشرية واستمرارها بما يكون من حضور للتجارب وتوارثها جيلا عبر جيل، فيتحقق للإنسان السداد والتخطيط للمستقبل بهدي سيره الماضي.

ب- العواطف والغرائز ذات البعد الفردي والاجتماعي³:

التي توفر له المكنة للتواصل النوعي والتواصل الاجتماعي، وتؤسس للتعاون والتعارف والتآزر في أداء الأعمال ونقل التجارب وتبليبه فطره الاجتماع، وتؤسس المجتمع يؤدي دوره الاستخلاف.

هكذا جاءت سورة الإنسان في أحسن تقويم في بعديها المادي والمعنوي مفضية إلى تحقيق الغاية من الوجود، قال تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ ﴾¹، حيث تم

1 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص22. (بتصرف)

2 - المرجع نفسه، ص23. (بتصرف)

3 - المرجع نفسه (بتصرف).

تعديل القوة الظاهرة والباطنة بحيث لا تكون إحدى قواه موقعة له فيما يفسده، كما لا يعوق بعض قواه البعض الآخر عن أداء وظيفته.

د- رفعه التكليف²:

أن الإنسان هو الكائن الذي اختير لأن يكون مكلفاً فقد انتخبه الله تعالى من بين الموجودات ليقوم بمهمة الاستخلاف، وفق أوامر ينبغي أن يقوم بها ويلتزم، ونواهن ينبغي أن ينتهي عنها ويحذرهما، وممكنه من إرادة حرة يكون على أساسها المحاسبة والجزاء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾³، وكان موقف المفسرين من شرح الأمانة التي حملها الإنسان هي متراوحة بين معان جزئية وكلية كثيرة منها:

■ **المعاني الجزئية:** وقد ذكر المفسرون أن معنى الأمانة يتمثل في: الطاعة، الصلاة، الصوم، الانقياد إلى الدين، التوحيد، تجليات الله بأسمائه، العقل، الخلافة، حفظ الفرج، الاغتسال، وغيرها. وقد ذكر هذه المعاني الرازي والألوسي وابن عاشور في تفاسيرهم.

■ **المعاني الكلية:** ومن أبرز المعاني للأمانة هي التكليف، قال الإمام الرازي: "أي التكليف وهو الأمر بخلاف ما في الطبيعة، فهذا النوع من التكليف ليس في

1- سورة غافر: الآية 64.

2- عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص25. (بتصرف)

3- سورة الأحزاب: الآية 72.

السموات ولا في الأرض، لأن الأرض والجبال والسماء كلها على ما خلقت عليه، الجبل لا يطلب منه السير، والأرض لا يطلب منها الصعود ولا من السماء الهبوط" ففي التكليف مشقة تعاكس بعض ما خلقت خلق عليه الإنسان من الغرائز والطبائع.

قالت عائشة عبد الرحمن: " هذه الأمانة هي الابتلاء بطبيعة التكليف وحرية الإرادة ومسؤولية الاختيار، فكل الكائنات عدا الإنسان مسيرة بمقتضى سنن كونية على وجه التسخير والامتثال دون تحمل لتبعية ما تعمل... الإنسان وحده هو المسؤول عن عمله والمحاسب عليه ثوابا وعقابا"¹ وقد عبر عن التكليف بالأمانة لاعتبارات منها:

- لأن الأمانة هي الحفاظ على ما عهد به ورعيه والحذر من الإخلال به سهوا أو تقصيرا أو عمدا؛ والتكليف هو تحميل للأوامر والنواهي التي يطلب رعايتها والحذر من الإخلال بها على وجهها الذي حملت به.

-تتشرك الأمانة والتكليف في عناصر ثلاثة: الإيداع؛ المحافظة على المودع؛ وأداؤه على وجهه.

- كما أنهما يبنيان على معنى واحد، هو معنى مغالبة النفس بالإرادة الحرة فيما تحفو إليه بطبيعتها من تحقيق شهوتها:

أ- انتفاعا بالمعهود به في الأمانة.

ب- وتحريرا من المشقة المأمور بها في التكليف.

1 - عائشة عبد الرحمن، القرآن وقضايا الإنسان، ص 64-65.

والمعنى الأسمى الذي تضمنه التعبير بالأمانة على التكليف هو بيان قيمة الإنسان ورفعته بين سائل الكائنات، فهي "الأمانة" تعرض على من تميز بالعلو والسمو الخلقى كما كانت توضع الأمانات في مكة عند الرسول ﷺ... كذلك أمر التكليف عهد به للإنسان لرفعته وعلو مكانته الوجودية والوظيفية.

التعقيب الأول: ¹

إن وصف الإنسان في الآية بكونه ظلوما جهولا يتعارض في ظاهره مع المعنى المتضمن لرفعة الإنسان؟

وبالتأمل نجد أن ذلك الوصف لا يناقض رفعة الإنسان، بل هي وصف لما في طبيعة الإنسان من الظلم والجهل، كمظهرين من مظاهر النوازع النفسية الدافعة إلى اقرار الشرور، وفي مقابل النوازع النفسية الدافعة إلى أعمال الخير، وهي المعادلة التي ركب عليها الإنسان مع تزويده بإرادة الاختيار التي هي أساس التكليف. لكن ذلك ليس مصيرا حتميا للإنسان في تدافع نوازعه، بل حالات تحصل في سيرته الاستخلافية باختياره، ولا تقدر في أصل الرفعة التي اقتضاها التكليف.

التعقيب الثاني: ²

قد يبدو لأول وهلة أن التكليف وما يقتضيه من مشقة، مع ما يتبعه من إمكان الإخلال به؛ المستلزم لإمكان العقاب ليس فيه معنى الرفعة والتكريم، ما يجعلنا نعهده مظهرها لها.

1 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص 27-28. (بتصرف)

2 - المرجع نفسه، ص 29. (بتصرف)

لكن بالتأمل نرى التكاليف من أعظم الأسباب المؤدية إلى الرفعة والتكريم ومظهرها لهما، فالتكليف منبني على حرية الاختيار بين طريق الخير الذي جاء به الأوامر الإلهية وطريق الشر الذي عبرت عنه النواهي.

والإنسان مركب على إمكانية الاختيار بين أحد الطريقين، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾¹، وقال تعالى أيضا: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾²، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾³، فالتكليف بهذا المعنى يقتضي ضربا من الجهاد النفسي، يبدو في مغالبة عوامل الشر والسقوط، ونصرة عوامل الخير التواقة إلى الفضيلة، هذا الجهاد النفسي هو الفرصة الثمينة التي يتمكن الإنسان فيها من التسامي والتصاعد المستمر نحو الكمال، بما يجمع من نوازع الهبوط فيه، وبما يكسب من معاني الإنسانية علما وعملا.

ومن ثمار ذلك التسامي والتصاعد في سلم الإنسانية نحو الكمال:

- يجعل النفس تمتلئ بمحبة واستشرافا إلى الخير المطلق.
- امتلاء النفس عزيمة على الفعل الدافع للاستثمار والعمل الدؤوب.
- التسامي نحو الأفضل والأكمل هو الذي يشعر الإنسان بقيمته ويحقق تلك القيمة بالفعل...

فالإنسان حين يشعر بالتوقف عن السير لكسب الكمال... يؤول الأمر إلى الاستهانة بنفسه إزاء الوجود مما يؤدي إلى الاستقالة من الأدوار في الحياة أو إلى الانتحار كصورة وسبيل من سبل إنحائها.

1- سورة الشمس: الآية 7-8.

2- سورة البلد: الآية 10.

3- سورة الجاثية: الآية 13.

أن التكليف هو طريق الصعود للأفضل في مسيرة مجاهدة النفس، لقد ظلت السماوات والجبال والأرض واقفة في سلم قيمتها منذ خلقها الله، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، دون أن تكون لهم فرصة الاكتمال والتنامي، لأنها أبت أمانة التكليف.

أما الإنسان فإنه يملك أن كان الترقى والتصاعد المستمر بما يكتسب من الحق والخير، ائتمارا بأوامر الله وانتهاء عن نواهيه وما ينجر عنها من آثار محمودة:

- تمكن الإنسان من استثمار الكون لتحقيق مصالحه.
- إناطة مصير الإنسان بيده عبر الجهاد وليس من يملك مصير نفسه كمن يساق بالقهر إلى ذلك المصير.
- ترتيب الثواب العظيم على ذلك الجهد والجهاد الموفق في الامتثال للأوامر والنواهي.

هـ - عزه التعبد¹ :

وأول ما يتطرق إليه في هذا الباب التكريمي للإنسان هو أن العبادة في ذاتها بالنسبة للإنسان الخليفة غاية التكريم، وهي ليست عبادة بمفهوم جزئي، بمقدار شمولها لجميع سلوكياته في مناحي الحياة، فالعبادة شاملة لتوجه الإنسان المستمر نحو الله تعالى بالخضوع والمذلة، فالله هو الغاية، والعبادة لا تناقض العزة والرفعة، ذلك أن العبادة لله شرف وانعتاق وحرية وكرامة، والعبودية لغير الله من بقية المخلوقات مذلة وانحصار وضيق وسقوط في هاوية المذلة.

1 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص33. (بتصرف)

فإذا ما اقتنع المسلم بأن العبادة هي قمة التشريف انطلق يمارس دوره التعبدي في التزام تام بالضوابط الشرعية في تعاملاته مع ربه ومع نفسه ومع بقيه بني جنسه ومع الكون عموماً.

فيكون خليفة لله في أرضه وفق مراده بما يحقق صلاحه والخير له في الدنيا والآخرة.

■ العزة في مطلق العبادة: ¹

ولا يحصل ذلك إلا بأن يجعل المؤمن هدفه الله تعالى، فيستشعر الإنسان صغاره وضعفه في نفسه، فيخاطب نفسه مراجعاً ومذكراً من أنا أمام الله وبلوغه، كما يستشعر العزة من جهة أخرى والرفعة على ما سواه من المخلوقات على قدر سمو الهدف.

ولأن الغاية في قمة السمو والعلو فإن إرادة الإنسان تكبر لتتجاوز كل المعينات عن بلوغ الهدف فيستعلي بسلوكه عن كل شهوة أو ضعف أو صد من مخلوق أو غير ذلك.

كما يكتسب الإنسان أيضاً ثباتاً ورسوخاً أمام النوائب والمصائب بل لعله يقدم نفسه رخيصة في سبيل ربه تقرباً إليه وطرقاً لباب رضوانه. ذلك أن الإنسان ما زال في طريق التوفيق والخير ما اتجه إلى ربه، إما إذا انكب الإنسان عن الطريق ويضع الدنيا هدفاً له، فإنه بمقدار ما يقترب منها يناله الفتور فإذا حققها انطفأت في نفسه الجذوة الدافعة للحياة، فيصاب بالجمود والشعور بالقلق والإحباط.

1 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص33. (بتصرف)

■ العزة بالتعبد في مباشره الكون¹:

أن العبادة في مفهومها الشامل ودعوتها إلى الالتزام بالأوامر الإلهية التي تنظم تعامل الناس مع الكون مما يؤدي إلى حسن استغلاله والسيطرة عليه ونموه وازدهاره، هي مسلك مفضي إلى كرامة الإنسان وعزته، كرامة إعمار في الأرض وتركيبه للنفس، وكرامه شكر وحمد لحسن استغلال تلك النعم التي وضعها الله ﷻ بين يديه، حيث نجد نصوصا كثيرة دلت على أمر الإنسان باقتحام الكون وتسخييره، سواء على:

المستوى المعرفي:

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾²، وهو المستوى الذي يستوعب فيه الإنسان مظاهر الكون وقوانينه، ويعرف مكانته فيه ويزول عنه كل صور الخرافة والأساطير والمخاوف من الطبيعة، وهو ما يمهد إلى المستوى الثاني.

المستوى الاستثماري العملي:

قال تعالى: ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾³، وقال أيضا: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾⁴، وهو مستوى ينبنى على المستوى المعرفي ويتعاقد معه، وينتج عنه سيطرة للإنسان من خلال حسن استثماره وعلمه بالأسرار والقوانين الحاكمة له.

1 - المرجع نفسه، ص 39. (بتصرف)

2- سورة العنكبوت: الآية 20.

3- سورة الأنعام: الآية 141.

4- سورة النحل: الآية 114.

■ عزه التعبد بالعلاقات الاجتماعية:¹

إن ما تعبد الله به الإنسان من تشريعات ضابطه للتعامل الاجتماعي كله يفضي إلى تحقيق كرامة الإنسان، فصيانة الشرائع حفظ لمقاصد الشريعة الخادمة للإنسان في حفظ نفسه ودينه وماله وعرضه، وهي أيضا قواعد وأحكام ضابطة للمصالح الاجتماعية المفضية إلى المساواة وتكافؤ الفرص وتحريم العصبية والمحسوبية وتحريم كل صور الاختلال المعنوي كمنع الحريات والقهر وغيرها أو الاختلال المادي كالربا والاحتكار والإسراف وغيره.

بل أن الأمر يمتد إلى التشريعات الحاكمة للشؤون العامة في الجوانب السياسية فيؤدي ذلك إلى حضور المسلم وإيجابيته ضمن الإطار الاجتماعي فيكون شأن المجتمع مسيرا بالشورى، وقائما بالعدل، وحارسا وصائنا لتطبيق الشريعة.

■ عزه التعبد في التعامل الذاتي للإنسان:²

ومن مظاهر كرامة الإنسان وصيانتها أيضا أن عزته منوطة بتعامله مع ذاته، وهو أمر جمالي في الشريعة إذ غالبا ما يتوقع ويطلب من الإنسان أدواره مع الغير، لكن الشريعة الإسلامية تجعل من الإنسان أيضا محل تكليف في تعامله مع ذاته، فإذا مستحضر الإنسان تلك الواجبات الاستخلافي تجاه نفسه، فإن كرامته وشرفية خلقه تؤول به إلى:

أن تعلق همته فتبتعد عن تحقيق الشهوات، فيتحرر أن يكون سجينا للملاذ، ملتزما في ذلك بالاعتدال والتوسط المطلوب شرعا،

1 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص42. (بتصرف)

2 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص44. (بتصرف)

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾¹ ، وفي الحديث: "من كانت الدنيا همّه ، فرّق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأتِه من الدنيا إلّا ما كُتِبَ له ، ومن كانت الآخرة نيّته ، جمع الله له أمره ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة"

وهو توجيه إلهي ونبوي ألا يغفل الإنسان الاهتمام بكيانه الروحي بأن يفتن بتحقيق ملاذّه المادية، فيسير في ذلك مسار سائر الحيوانات التي لا هم لها إلا تحقيق شهواتها وغرائزها.

كما أن من مظاهر الكرامة الإنسان اهتمامه بتحقيق النظافة وطهارة الظاهر والباطن، في الجانب المادي والمعنوي، طهارة ينقي بها قلبه من الحسد والغل والكره والحقد وغيرها من صور الأمراض الباطنية، وطهارة متجلية في ظاهره بحسن ثوبه وجمالي مظهره.

و- طمأنينة الخلود² :

إن الفناء هو أقصى ما ينزل بالأشياء من النقص، وأن الوجود فيما يقابلها هو عين الكمال، فإن العقيدة الإسلامية تعتبر الحياة منة عظيمة من الله تعالى، قال ﷺ: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾³.

1- سورة الأعراف: الآية 31.

2 - عبد المجيد النجار، قيمة الإنسان، ص46. (بتصرف)

3- سورة البقرة: الآية 28.

ثم أن الحياة التي يعيشها الإنسان في الحياة الدنيا هي حياة رغم ما فيها من نعمٍ وخيرٍ ظاهرٍ لعطاء الله وفضله، إلا أنها مشوبة بالنقص في وجودها وامتدادها، فأى قيمة تبقى لحياة مشوبة بالنقص منتهية بالعدم

ولو أن أي رؤية أو فكرة عقائدية قائمة على أن حياة الشهادة منتهية بالعدم ولولدت في النفس هولا لا يطاق، لذا نجد الإنسان في رحلة وجوده منذ القديم يقاوم فكرة العدم بعد الموت، فليس للإنسان عزة أو رفعة إذا كانت حياته مهما طالمت منتهية إلى عدم.

ورغبة الإنسان في الخلود والبقاء ليست رغبة عارضة، بل هي رغبة طبيعية متأصلة ومرتبطة بوجوده، متميزة بالديمومة، معبر عن تشبث الإنسان بالحياة، ورغبته في دفع كل خطر يتهدد وجوده واستمراره، وهذا الميل الفطري للإنسان للبقاء هو ما استغله الشيطان في غوايته¹.

لذا جاءت العقيدة الإسلامية تعلي من شأن الإنسان بأن أكدت ما يلي احتياجه الفطري في الرغبة في استمرار الوجود بعد هذا العالم، فبينت له بوضوح طبيعة وجوده ومراحلها والغاية منه، كما بينت له أيضا المراحل الوجودية التالية، مؤمنة بذلك له الخلود في الحياة الأخرى.

في العقيدة الإسلامية لا تنظر إلى الحياة الدنيا نظرة حصار وانفكاك في العلاقة مع الحياة الأخرى، بل أن الحياة الدنيا هي مرحلة للبناء والزرع والعطاء والاستعداد إلى مرحلة التالية وهي مرحلة الجزاء والخلود.

1 - البهي الحولي، آدم فلسفة تقويم الإنسان وخلافته (دطح مكتبة وهبة: القاهرة-مصر، 1974م)، ص173.

ثم أن العقيدة الإسلامية تزيل خوف الإنسان من ظاهرة الموت المعجزة بالنسبة إليه عن الاستيعاب، فليس الموت عند المسلم إلا بداية حياة أخرى أكمل وأرفع، قال الراغب الاصفهاني في تفصيل النشأتين مؤكدا هذا المعنى: "الإنسان ما دام في دنياه جاري مجرى الفرح في البيضة، فكما أن كمال الفرح تفلق البيضة عنه وخروجه منه، كذلك من شرط كمال الإنسان مفارقة هيكله، ولولا هذا الموت لم يكمل الإنسان، فالموت إذا ضروري في كمال الإنسانية"¹.

ويمكن إجمال مظاهر التكريم التي تقدمها العقيدة الإسلامية والمتعلقة بالمصير الإنساني في النقاط الآتية:

■ تبين العقيدة الإسلامية أن الإنسان امتدادا في حياته بعد الموت وهو شرف خص به الإنسان دون سائر الموجودات الكونية، فيحوز الإنسان بذلك كرامة الوجود المتحققة له في هذه الدنيا وفي الآخرة.

■ العقيدة الإسلامية التي توفر للإنسان الطمأنينة المتعلقة بمصيره، هي دافع كبير جدا للإنسان كي يستكمل استثماره الكوني بالإعمار، واستثماره الروحي والنفس بالتركية، فالإيمان بالخلود يفتح أبواب الأمل فيندفع الإنسان في بنائه الحضاري بما يحقق له أقصى درجات القيام بواجبه الاستخلافي.

■ أن وضوح الغاية والمراحل الوجودية المتعددة للإنسان، بيان الأهداف الجزئية والعامّة لكل مرحلة، يصب في دائرة حضوري مبدأ الغائية التي توفره العقيدة الإسلامية للإنسان فيعيش متقيدا بأهداف سامية في كل مرحلة محققا ذاته وواجباته، ومثمرا مقاصده في كل مرحلة وما يتبعها من السعادة الأبدية في العالم الأخروي.

1 - الراغب الاصفهاني في تفصيل النشأتين، ص 200.



خلافة الإنسان في القرآن الكريم



خلافة الإنسان في الأرض:

لقد ارتبط الإعلان الإلهي عن خلق الكائن الجديد ببيان مهمته الوجودية المتمثلة في الخلافة، وهي دلالة واضحة لإبراز هذه الوظيفة وحو شأنها وكرامة الإنسان وتشريفه الخاص بها، فما مفهوم الخلافة المنوطة بالإنسان وما أبرز ميادينها وتجلياتها؟

1- الإنسان الخليفة :

بيّن القرآن الكريم أن هذا الإنسان خلق لأداء أدوار عظيمة وفريدة في الوجود، فالدقة العالية والجمالية في الإعداد المادي والمعنوي لجميع مراحل خلقه، يقابلها تحديد دقيق واضح لغاية وجوده، بأن يكون خليفة الله في أرضه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً¹﴾، وقال تعالى أيضا: ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ²﴾.

قال أهل التفسير خليفته في تنفيذ مراد الله في تعمير الأرض بالإلهام والوحي، وتلقين ذريته مراد الله وسن النظام والأحكام بينهم، وقيل: إنما سمي خليفة لأنه يَخْلُفُ الله في الحكم بين المكلفين من خلقه³، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ⁴﴾، وفي رأي آخر؛ سموا خلفاء لأنهم يخلفون بعضهم

1- سورة البقرة : الآية 30.

2- سورة الأعراف: الآية 129.

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج 1، ص 399.

4- سورة ص : الآية 26.

بعضاً¹، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾²، وذهب صاحب المنار إلى أن للخلافة مَعْنَى شامل لكل ما مَيَّرَ الله به الإنسان على سائر المخلوقات³.

ويعرفها عبد المجيد النجار بقوله: "الخلافة- المهمة الوجودية للإنسان- تعني الخلافة عن الله تعالى لتنفيذ مراده في الارض وإجراء أحكامه فيها"، وهذا معناه أن يكون الإنسان سلطاناً وسيداً في الكون بغاية تطبيق المهمة التي كلفه بها المستخلف وهو الله سبحانه وتعالى، بحيث يكون الإنسان مؤتمراً بما أمر ومنتهاها عما نهي⁴.

وانطلاقاً من المضامين الأساسية للآيات فإن القيام بدور الاستخلاف يتحقق بثلاثة أمور:

□ معرفة المُسْتَخْلِفِ وعبادته: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁵، قال ابن عباس: "لعبادتنا، والتذلل لأمرنا"⁶، مختارين للعبادة لا مضطرين إليها⁷، وقيل: ليعبدوني أي ليعرفوني، ويعظموني⁸؛ فأهم المهمات للعباد استنارة

1- الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ج2، ص389.

2- سورة الأنعام: الآية 165.

3- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، (مرجع سابق)، ج1، ص216.

4- عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل (ط:3؛ دار الغرب الإسلامي: بيروت-لبنان، 2005م)، ص61-62.

5- سورة الذاريات : الآية 56.

6- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مرجع سابق)، ج22، ص65.

7- الزمخشري، الكشاف، (مرجع سابق)، ج4، ص406.

8- الرازي، مفاتيح الغيب، (مرجع سابق)، ج28، ص193-194.

قلوبهم بمعرفة الربوبية ورعاية العهد بالعبودية¹، فيكون الإنسان في كل شأنه خاضعا لربه ومستسلما لأمره².

□ **المعرفة بالشريعة والتزامها:** فمن رحمة الله بالناس أن أرشدهم إلى الهدى بما ينزل لهم من شرائع، تحقق الخير للعباد في دنياهم وأخراهم، قال تعالى مخاطبا آدم الطَّيِّبُ وذريته من بعده: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾³، أي إما يأتينكم مني بيان من أمري وطاعتي، ورشاد إلى سبيلي وديني عن طريق الأنبياء والرسل، فمن اتبعه منكم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون⁴، ومفهوم الهدى هو الشرائع التي سنها الله تعالى لعباده لتحقيق مصالحهم في المعاش والمعاد، وهي دائرة بين أحكام دقيقة مع مقاصدها الكلية والجزئية، وهي عدل ورحمة وحكمة كلها، وهي نور وهدى لسلوك الصراط المستقيم⁵.

□ فإذا ما عرف المؤمن ربه وآمن به، وأقر بمخلوقيته وعبوديته، كان من أبرز مظاهر سعيه لتحقيق الخلافة على أكمل وجه، أن يسعى إلى ما يبلغه كماله المعنوي والمادي، من خلال سعيه إلى:

- 1- المرجع نفسه، ج22، ص445.
- 2- عبد الحميد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، (مرجع سابق)، ص62.
- 3- سورة البقرة: الآية 38-39.
- 4- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مرجع سابق)، ج1، ص550.
- 5- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم (ط:1؛ دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1991م)، ج3، ص11. (بتصرف).

□ عمارة النفس:

أولى أولويات عمارة الإنسان أن يتبدأ بنفسه التي بين جنبيه، فينظر فيها، فيعرفها ويدرك خصائصها، ويسعى إلى التحقق بتزكيتها، وأن يكون أكبر همه وسعيه ترقية نفسه نحو مستخلفه، وتحقيق أقصى درجات الاقتراب منه، بالعمل الدائب والكدح المستديم للرفي بذاته وتنميتها والرفي بها في السير نحو الاكتمال الذي ذكره ﷺ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْ بِهِ﴾¹².

وعمارة النفس الإنسانية؛ تزكيتها وتكميلها من خلال قمع أهوائها وإطلاق خصائصها العليا، تخلية من الصفات المذمومة، وتحليتها بالصفات المحمودة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾³، وقال ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁴، قال ابن كثير أي: قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، وقد خاب من دساها أي: أخلها بخذلانه إياها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله ﷻ⁵.

□ عمارة الأرض:

ويصاحب الانسان في استخلافه في عمارة النفس عمارة الكون وازدهار الحياة، حيث بين القرآن الكريم أن من المهام الأساسية الموكلة على وجه الاستخلاف لبني

1- سورة الانشقاق: الآية 6.

2- عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل (ط:3؛ دار الغرب الإسلامي: بيروت-لبنان، 2005م)، ص62.

3- سورة الأعلى: الآية 15.

4- سورة الشمس: الآية 9-10.

5 - إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ط:2؛ دار طيبة للنشر والتوزيع: السعودية، 1999م)، ج8، ص412.

البشر؛ عمران الأرض بما يرضي الله تعالى، لقوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ¹﴾، وقوله ﷻ: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ²﴾، أي: جعلكم مفوضين لعمارته من الخلاء بالبناء والغرس والزرع وغيرها من ضرورات الحياة³، فعمارة الأرض إذن واجب يترجم في مختلف صور الإصلاح والعدل وإحقاق الحق واستهداف ما ينتج عنها من آثار حضارية حسنة؛ والبعد عن كل صور الظلم والجور والإفساد والطغيان، واستهداف إزالة ما ينتج عنها من انتهاك للحقوق والأموال والأعراض.

فالإنسان هو خليفة الله تعالى في أداء دوره الأساس بالتعرف على خالقه ﷻ وعبادته على الوجه الصحيح الذي يخبرنا به الوحي من جهة، والقيام بأحكام الشرع ومقاصده في عمارة الأرض وصلاحتها وإقامة القسط فيها، ومحاربة الفساد والإفساد والطغيان، في مختلف صوره من جهة أخرى.

2- حمل الأمانة وتحقيق الاستخلاف:

عُرِضَتْ أمانة التكليف على الإنسان، فقبلها من دون الخلائق جميعاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا⁴﴾، وهو بذلك ظلوم جهول

1- سورة الأعراف : الآية 129.

2- سورة هود: الآية 61.

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق)، ج 21، ص 57؛ وينظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، (مرجع سابق)، ج 12، ص 101؛ والراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (مرجع سابق)، ص 586.

4- سورة الإسراء: الآية 72.

إذا لم يسعى إلى تأديتها وصيانتها، بأن يتعدى حدود الله وهو يعرفها، وجهول لأنه يتعدى حدوده ولا يستعمل عقله للاستهداء فيما لا يعلمه¹.

فالإنسان في القرآن بين مسارين مسار نجاح يستوجب غاية الحمد، واخفاق يستوجب غاية الذم، وهو ما بينته الآيات المتعددة، وأحياناً الآية الواحدة. ولا يعني ذلك أنه يحمد ويذم في آن واحد، وإنما معناه أنه أهل للكمال والنقص بما فُطر عليه من استعداد لكل منهما، وبما وهبه الله من سر المعرفة وحرية الإرادة في اختيار طريقه²، فهو أهل للخير والشر، لأنه أهل للتكليف³، ولأنه حامل الأمانة التي تُثقل حملها عن السماوات والأرض؛ هو الخليفة الحر والمسؤول بين جميع ما خلق الله⁴، فَيَمُّ على نفسه، ومحتماً تبعه اتجاهه وعمله⁵.

فهذه هي الصفة الأولى التي بها كان الإنسان إنساناً؛ حرية الاتجاه وفردية التبعة⁶، وهو بذلك بين منازل أحسن التقويم التي ترفعه إلى مرتبة أعلى من مراتب الملائكة الأطهار، ودرك أسفل السافلين التي تنزله إلى مدارك العاصين، أو المنافقين، أو الكفار.

فالإنسان في وجوده متأرجح بين الصفات الحسنة والسيئة، وفي سلوكه بين العمل الصالح والطالح، وأن الناس صنفان، صنف سيء الصفات والخصائص؛ بإتباعه الهوى

1- العقاد، الإنسان في القرآن، (مرجع سابق)، ص43.

2- سيد قطب، في ظلال القرآن، (مرجع سابق)، ج1، ص57.

3- العقاد، الإنسان في القرآن، (مرجع سابق)، ص15.

4- المرجع نفسه، ص12.

5- عائشة بن عبد الرحمن، (مرجع سابق)، ص58.

6- سيد قطب، في ظلال القرآن، (مرجع سابق)، ج4، ص2241. (بتصرف)

والإعراض عن الحق، والتكبر عن الاستسلام والخضوع والعبودية لله رب العالمين، فهو من صنف الناس الجاحدين للحق، وصنف من الناس هو موضع الثناء، والمدح، والتكريم، والتشريف في العالمين، المنعوت بكل الصفات الإيجابية المفضية إلى درجة أحسن تقويم، فهو المتصف؛ بالإيمان عوض الكفر والجحود، وبالخضوع والتواضع عوض الطغيان، وبالعدل عوض الظلم، وبالعلم عوض الجهل وغيرها، مما يجعله في مصاف المقربين، وفي منازل أعلى عليين، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾¹.

وخلاصة عرض القرآن للإنسان، أنه بيّن للإنسان التكريم الإلهي بحسن الخلق في الظاهر والباطن، وحسن التكليف والاستخلاف لما فيه كماله وصلاحه، ونبهه إلى الأمانة التي يحملها بإرادته، وحمله مسؤولية حريته، وبيّن له سبيل الهداية والوصول، فما على الإنسان إلا أن يكون عبدا شكورا مسؤولا عن السعي الجاد نحو كماله.

1- سورة الإنسان: الآية 3.



خاتمة:

يعتبر مبحث الإنسان في العقيدة الإسلامية مبحثاً مركزياً، مركزية الإنسان في المخلوقات، تلك المكانة الشريفة التي تستمد وجودها من تشريف الخالق عز وجل للإنسان، وفضل التكريم الإلهي الذي جمع في الإنسان ما فرقه من كرامة وفضل على سائر المخلوقات.

فكان بحق الإنسان الخليفة من الناحية الوجودية، فخلق في أحسن تقويم، ونفخ فيه من الروح، وسخرت له السماوات والأرض.

ثم أنيط بهذا الإنسان كرامة الاستخلاف الذي يدور عليه مدار الكمال البشري الميسور القائم على النجاح والتوفيق في القيام بالإرادة الإلهية التشريعية، والتي تعتبر الصراط إلى بلوغ مواطن الرضوان وتحقيق أعلى درجات الكمال البشري الميسور.

إن أفراد مباحث الإنسان في العقيدة بالتأليف وتخصيصها بالتصنيف والتنظيم والإبراز لمختلف لطائفها العلمية والمعرفية كفيل بحضور البعد العقائدي في حياة الإنسان، ومركزية مبحث الاستخلاف في مختلف مناحي حياته، بما يحقق المقصد الوجودي للإنسان في أعلى صورته.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

*كتب الحديث النبوي الشريف

1. إبراهيم مدكور، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق (ط:3؛ دار المعارف: القاهرة - مصر، 1976م).
2. ابن تيمية، رسالة في العقل والروح (ط:2؛ دار الهجرة: دمشق - سوريا، 1988م)، ص 33.
3. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (دط؛ مكتبة الخانجي: القاهرة- مصر، دت).
4. ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم (ط:1؛ دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1991م).
5. ابن قيم الجوزية، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (دط؛ دار الكتب العلمية - بيروت، دت).
6. ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ط:2؛ دار طيبة للنشر والتوزيع: السعودية، 1999م).
7. ابن منظور، لسان العرب (ط:3، دار صادر - بيروت، 1414هـ).
8. أبو الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دط؛ دار الهداية: طبعة الكويت، دت).
9. أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي (ط:1؛ الجفان والجابي - قبرص، 1987م).

10. أبو حامد الغزالي، معارج القدس في معرفة النفس (ط:1 ؛ دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان ، 1988م).
11. أبو منصور البغدادي ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية (ط:2؛ دار الآفاق الجديدة: بيروت - لبنان ، 1977).
12. أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات ، ومؤسسة النشر الإسلامي (ط:1؛ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين : قم - إيران ، 1412هـ).
13. أبو يزيد البسطامي، المجموعة الصوفية الكاملة، تحقيق: قاسم محمد عباس (ط:1؛ دار المدى للثقافة والنشر: بغداد-العراق، 2004م).
14. أحمد النقشبندي الخالدي، جامع أصول الطرق الصوفية، تحقيق: أديب نصر الله (ط:1؛ دار الانتشار: بيروت-لبنان، 1997م).
15. أحمد بن محمد بن أبو العباس عجيبة ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان (ط:2؛ دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، 2002م).
16. البهي الخولي، آدم فلسفة تقويم الإنسان وخلافته (دطح مكتبة وهبة: القاهرة- مصر، 1974م).
17. الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (ط:4 ؛ دار العلم للملايين: بيروت-لبنان ، 1987م).
18. الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة (ط:2 ؛ دار السلام: القاهرة-مصر ، 2010م).

19. الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (دط؛ دار ومكتبة الهلال: القاهرة-مصر ، دت).
20. الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (دط؛ منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت-لبنان، 1983م).
21. الزمخشري، الكشاف، تحقيق : عبد الرزاق المهدي (دط؛ دار إحياء التراث العربي: بيروت ، دت).
22. سميح دغيم، موسوعة مصطلحات الأشعري والقاضي عبد الجبار (ط:1 ؛ مكتبة لبنان ناشرون: بيروت لبنان، 2002م).
23. سيد قطب ، في ظلال القرآن (ط:17 ؛ دار الشروق : بيروت- القاهرة ، 1412 هـ).
24. عادل العوّا ، الإنسان ذلك المعلوم (ط:2 ؛ منشورات عويدات: بيروت- لبنان ، 1982م)، ص 07-08 ؛ وينظر: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، حقيقة الإنسان بين المسؤولية والتكريم (دط؛ المؤسسة العربية الحديثة: القاهرة-مصر، 1988م).
25. عائشة بن عبد الرحمن بنت الشاطيء، مقال في الإنسان دراسة قرآنية (ط:2 ؛ دار المعارف: القاهرة-مصر، 1969م).
26. عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن (ط:2 ؛ دار الكتاب العربي: بيروت- لبنان ، 1969م).
27. عبد الكريم الجيلي، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود (ط:1 ؛ مكتبة القاهرة: القاهرة-مصر، 1999م).

28. عبد الكرم بن إبراهيم الجيلي، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر (ط:1؛ دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، 1997م).
29. عبد الكرم عثمان، نظرية التكليف (دط؛ مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان، دت).
30. عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل (ط:3؛ دار الغرب الإسلامي: بيروت-لبنان، 2005م).
31. عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان (ط:1؛ دار الزيتونة للنشر: الرباط-المغرب، 1996م).
32. عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان (ط:1؛ دار الزيتونة: الرباط-المغرب، 1996م).
33. عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان (ط:1؛ دار الزيتونة: الرباط-المغرب، 1996م).
34. عبد الوهاب فرحات، نظرية الإنسان عند محي الدين بن عربي (رسالة دكتوراه)، غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر: كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، 2003-2004م).
35. علي بن إسماعيل أبو الحسن بن سيده المرسي؛ المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال (ط:1؛ دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، 1996م).
36. علي بن إسماعيل بن أبي بشر أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور (ط:1؛ المكتبة العصرية: القاهرة-مصر، 2005م).

37. عمر محمد التومي الشيباني، مقدمة في الفلسفة الإسلامية (ط:3؛ الدار العربية للكتاب: القاهرة- مصر، 1982م).
38. فرانسوا فانوتشي، ما النسبية؟، ترجمة: عز الدين الخطابي (ط:1؛ كلمة: هيئة أبو ضبي للسياحة والسفر- الإمارات العربية، 2012م).
39. الفراهيدي، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي (دط ؛ دار ومكتبة الهلال: القاهرة-مصر ، دت).
40. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية(ط:4؛ دار الفكر: دمشق-سورية، دار الفكر المعاصر: بيروت- لبنان، 2000م).
41. محمد بن علي الفاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج (ط:1؛ مكتبة لبنان ناشرون: بيروت-لبنان، 1996م).
42. محمد حسن آل ياسين، الإنسان بين الخلق والتطور (ط:3؛ المكتب العالمي: بيروت-لبنان، 1983م).
43. محمد حسن آل ياسين، الإنسان بين الخلق والتطور (ط:3؛ المكتب العالمي: بيروت-لبنان، 1983م).
44. محمود محمود الغراب، الإنسان الكامل من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي (ط:2؛ دار الفكر: دمشق-سوريا ، 1990م).
45. محي الدين ابن عربي، إنشاء الدوائر (ط:1؛ مطبعة بريل: مدينة ليدن- هولندا، 1917م).
46. محي الدين ابن عربي، رسائل ابن عربي- عقلة المستوفز ، تحقيق: سعيد عبد الفتاح (ط:1؛ دار الانتشار العربي: بيروت -لبنان ، 2002م).

47. مرتضى الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دط ؛ دار الهداية : طبعة الكويت ، دت).

48. مصطفى محمود، أنشأتين والنسبية (ط:7 ؛ دار المعارف: القاهرة- مصر، 1993م).



فهرس الموضوعات

3	المقدمة
6	البرنامج المقرر
8	المبدأ الوجودي للإنسان
9	1- مفهوم الإنسان
12	2- الإنسان في الاصطلاح
17	3- الإنسان في الاتجاهين الكلامي والصوفي
17	أ- الإنسان عند المتكلمين
17	الرأي الأول
18	الرأي الثاني
19	الرأي الثالث
21	3- الإنسان في الاتجاه الصوفي
28	الإنسان بين الماهية والوجود
29	أ- مقدمة في الوجود والماهية
29	*الوجود
30	*الماهية
30	ب- العلاقة بين الوجود والماهية في الممكنات
32	ج- الوجود والماهية في الإنسان
33	3- الوجود والماهية في القرآن الكريم

33	أ- العلاقة الزمنية بين الوجود والماهية
34	ب- خصوصية الإنسان في علاقة الماهية بالوجود
34	*خصوصية بيان خصائص الماهية
35	*خصوصية الماهية الواقعية للإنسان
36	ج- عنصر التوحيد في ماهية الإنسان
37	د- التحقيق الواقعي لماهية الإنسان
40	خلق الإنسان وعناصره في القرآن الكريم
41	4- خلق الإنسان في القرآن الكريم.
44	5- عناصر ماهية الإنسان في القرآن الكريم
48	حسن الخليقة
49	الإنسان المكرم
52	النقد العلمي لنظرية داروين
53	6- النقد العلمي لنظرية داروين
53	أ- مقولة التطور ودعائمها
57	ب- نقض مقولة التطور
60	قيمة الإنسان في العقيدة الإسلامية
61	7- قيمة الإنسان في العقيدة الإسلامية
61	أ- أثر الإيمان بعقيدة التكريم الإلهي للإنسان
62	ج- شرفه الخلق

66	ج- حسن التقويم
67	-المقصود بالتقويم في بنية الإنسان
67	مظاهر حسن التقويم في البنية المادية للإنسان
68	-البنية المعنوية
68	العقل
69	العواطف والغرائز ذات البعد الفردي والاجتماعي
70	د- رفعه التكليف
70	المعاني الجزئية
70	المعاني الكلية
72	التعقيب الأول
72	التعقيب الثاني
74	هـ- عزه التعبد
74	- العزة في مطلق العبادة
75	- العزة بالتعبد في مباشره الكون
76	- عزه التعبد بالعلاقات الاجتماعية
76	- عزه التعبد في التعامل الذاتي للإنسان
77	و- طمأنينة الخلود
81	خلافة الإنسان في القرآن الكريم
82	الإنسان الخليفة

83	□ معرفة المُستخلفِ وعبادته
83	□ المعرفة بالشريعة والتزامها
83	□ عمارة الأرض
85	الإنسان الحر المسؤول
89	الخاتمة
90	قائمة المصادر والمراجع
97	فهرس الموضوعات

